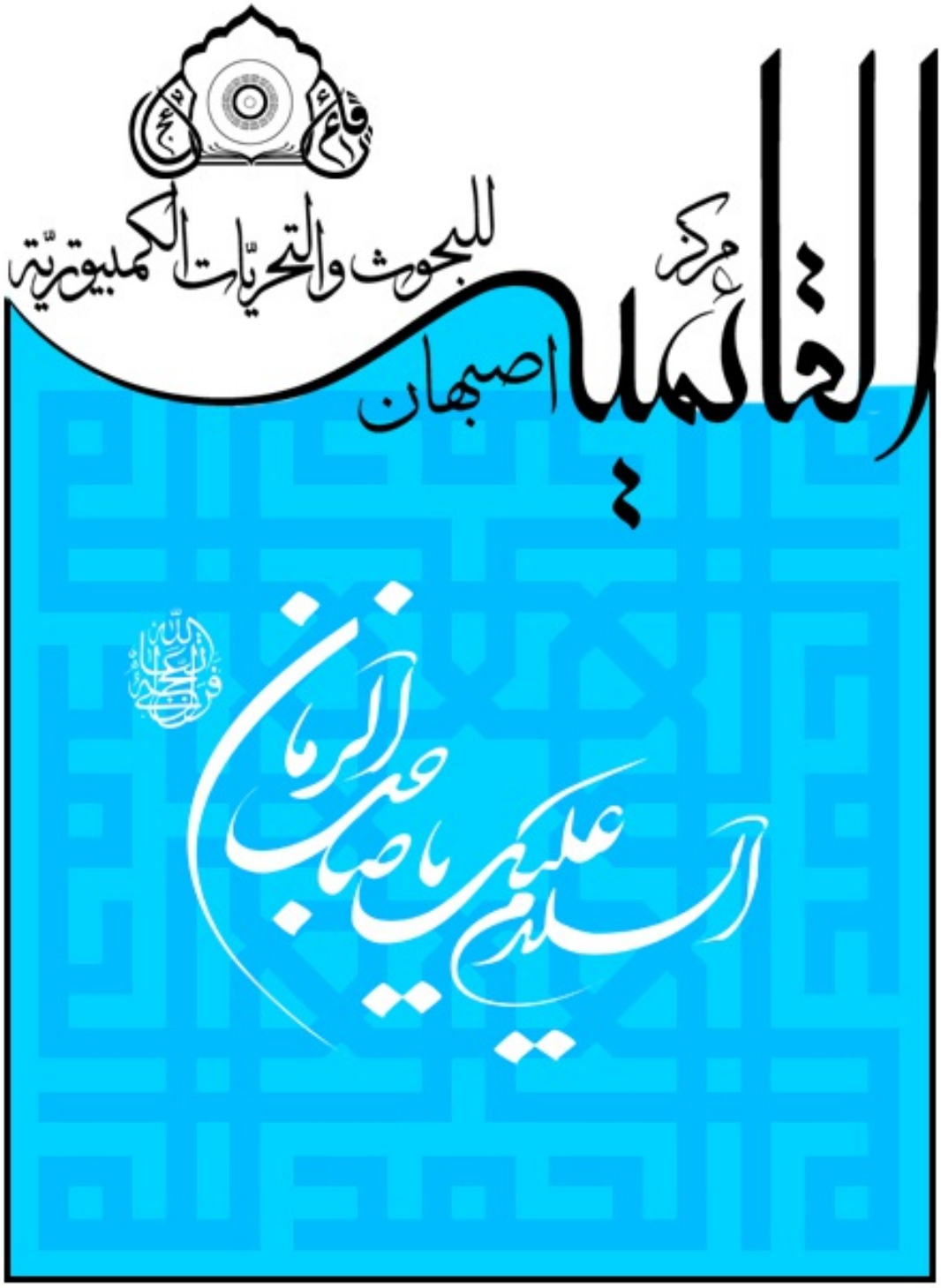

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سفرنامه
ناصر خسرو

بسم الله الرحمن الرحيم

سفرنامه ناصرخسرو

كاتب:

ناصرخسرو

نشرت فى الطباعة:

مكتبة اهل البيت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
سفرنامه ناصر خسرو ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
صفحه ۰۰۱ ----- ۱۱
صفحه ۰۰۲ ----- ۱۱
صفحه ۰۰۳ ----- ۱۱
صفحه ۰۰۴ ----- ۱۲
صفحه ۰۰۵ ----- ۱۲
صفحه ۰۰۶ ----- ۱۳
صفحه ۰۰۷ ----- ۱۳
صفحه ۰۰۸ ----- ۱۴
صفحه ۰۰۹ ----- ۱۴
صفحه ۰۱۰ ----- ۱۴
صفحه ۰۱۱ ----- ۱۵
صفحه ۰۱۲ ----- ۱۵
صفحه ۰۱۳ ----- ۱۶
صفحه ۰۱۴ ----- ۱۶
صفحه ۰۱۵ ----- ۱۷
صفحه ۰۱۶ ----- ۱۷
صفحه ۰۱۷ ----- ۱۸
صفحه ۰۱۸ ----- ۱۸
صفحه ۰۱۹ ----- ۱۹
صفحه ۰۲۰ ----- ۱۹

صفحه ۰۲۱ ----- ۲۰
صفحه ۰۲۲ ----- ۲۱
صفحه ۰۲۳ ----- ۲۱
صفحه ۰۲۴ ----- ۲۲
صفحه ۰۲۵ ----- ۲۲
صفحه ۰۲۶ ----- ۲۳
صفحه ۰۲۷ ----- ۲۳
صفحه ۰۲۸ ----- ۲۴
صفحه ۰۲۹ ----- ۲۴
صفحه ۰۳۰ ----- ۲۵
صفحه ۰۳۱ ----- ۲۵
صفحه ۰۳۲ ----- ۲۶
صفحه ۰۳۳ ----- ۲۶
صفحه ۰۳۴ ----- ۲۷
صفحه ۰۳۵ ----- ۲۷
صفحه ۰۳۶ ----- ۲۸
صفحه ۰۳۷ ----- ۲۸
صفحه ۰۳۸ ----- ۲۹
صفحه ۰۳۹ ----- ۲۹
صفحه ۰۴۰ ----- ۳۰
صفحه ۰۴۱ ----- ۳۰
صفحه ۰۴۲ ----- ۳۱
صفحه ۰۴۳ ----- ۳۱
صفحه ۰۴۴ ----- ۳۲

صفحه ۰۴۵ ----- ۳۲
صفحه ۰۴۶ ----- ۳۲
صفحه ۰۴۷ ----- ۳۳
صفحه ۰۴۸ ----- ۳۳
صفحه ۰۴۹ ----- ۳۳
صفحه ۰۵۰ ----- ۳۴
صفحه ۰۵۱ ----- ۳۴
صفحه ۰۵۲ ----- ۳۵
صفحه ۰۵۳ ----- ۳۵
صفحه ۰۵۴ ----- ۳۵
صفحه ۰۵۵ ----- ۳۶
صفحه ۰۵۶ ----- ۳۶
صفحه ۰۵۷ ----- ۳۷
صفحه ۰۵۸ ----- ۳۷
صفحه ۰۵۹ ----- ۳۷
صفحه ۰۶۰ ----- ۳۸
صفحه ۰۶۱ ----- ۳۸
صفحه ۰۶۲ ----- ۳۸
صفحه ۰۶۳ ----- ۳۹
صفحه ۰۶۴ ----- ۳۹
صفحه ۰۶۵ ----- ۴۰
صفحه ۰۶۶ ----- ۴۰
صفحه ۰۶۷ ----- ۴۰
صفحه ۰۶۸ ----- ۴۱

صفحه ۰۶۹ ---- ۴۱
صفحه ۰۷۰ ---- ۴۱
صفحه ۰۷۱ ---- ۴۲
صفحه ۰۷۲ ---- ۴۲
صفحه ۰۷۳ ---- ۴۳
صفحه ۰۷۴ ---- ۴۳
صفحه ۰۷۵ ---- ۴۴
صفحه ۰۷۶ ---- ۴۴
صفحه ۰۷۷ ---- ۴۵
صفحه ۰۷۸ ---- ۴۵
صفحه ۰۷۹ ---- ۴۶
صفحه ۰۸۰ ---- ۴۶
صفحه ۰۸۱ ---- ۴۷
صفحه ۰۸۲ ---- ۴۷
صفحه ۰۸۳ ---- ۴۸
صفحه ۰۸۴ ---- ۴۸
صفحه ۰۸۵ ---- ۴۹
صفحه ۰۸۶ ---- ۴۹
صفحه ۰۸۷ ---- ۵۰
صفحه ۰۸۸ ---- ۵۰
صفحه ۰۸۹ ---- ۵۱
صفحه ۰۹۰ ---- ۵۱
صفحه ۰۹۱ ---- ۵۲
صفحه ۰۹۲ ---- ۵۲

صفحه ۰۹۳ ---- ۵۳
صفحه ۰۹۴ ---- ۵۳
صفحه ۰۹۵ ---- ۵۴
صفحه ۰۹۶ ---- ۵۴
صفحه ۰۹۷ ---- ۵۵
صفحه ۰۹۸ ---- ۵۵
صفحه ۰۹۹ ---- ۵۶
صفحه ۱۰۰ ---- ۵۶
صفحه ۱۰۱ ---- ۵۷
صفحه ۱۰۲ ---- ۵۷
صفحه ۱۰۳ ---- ۵۷
صفحه ۱۰۴ ---- ۵۸
صفحه ۱۰۵ ---- ۵۸
صفحه ۱۰۶ ---- ۵۹
صفحه ۱۰۷ ---- ۶۰
صفحه ۱۰۸ ---- ۶۰
صفحه ۱۰۹ ---- ۶۰
صفحه ۱۱۰ ---- ۶۱
صفحه ۱۱۱ ---- ۶۱
صفحه ۱۱۲ ---- ۶۲
صفحه ۱۱۳ ---- ۶۳
صفحه ۱۱۴ ---- ۶۳
صفحه ۱۱۵ ---- ۶۴
صفحه ۱۱۶ ---- ۶۴

صفحه ۱۱۷ ---- ۶۵
صفحه ۱۱۸ ---- ۶۵
صفحه ۱۱۹ ---- ۶۶
صفحه ۱۲۰ ---- ۶۶
صفحه ۱۲۱ ---- ۶۷
صفحه ۱۲۲ ---- ۶۷
صفحه ۱۲۳ ---- ۶۸
صفحه ۱۲۴ ---- ۶۸
صفحه ۱۲۵ ---- ۶۹
صفحه ۱۲۶ ---- ۶۹
صفحه ۱۲۷ ---- ۷۰
صفحه ۱۲۸ ---- ۷۱
صفحه ۱۲۹ ---- ۷۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۷۱

سفرنامه ناصر خسرو

اشارة

زبان: فارسی نویسنده: ناصر خسرو قبادیانی

صفحه ۰۰۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱

سفر نامه ناصر خسرو

(۱)

صفحه ۰۰۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۳

بسم الله الرحمن الرحیم هذا ما یقول أبو معین الدین ناصر خسرو القبادیانی المروزی تاب الله عنه کانت صناعتی الإنشاء وکنت من المتصرفین فی أموال السلطان وأعماله واشتغلت بالدیوان وباشرت هذا العمل مدة من الزمن وذاع صیتی بین أقرانی وفی ربیع الآخر سنة ۴۳۷ أیام أبی سلیمان جغری بیک داود بن میکائیل بن سلجوق حاکم خراسان ذهبت من مرو فی عمل للدیوان ونزلت فی بنج دیة مرو الرود کان ذلک یوم قران الرأس والمشتری ویقال إن الله تعالی وتقدس یستجیب فیه إلی ما یطلب الناس من حاجات فذهبت إلی زاویة وصلیت رکعتین ودعوته تعالی وتبارک أن ییسر لی أمری فلما عدت لأصدقائی وأصحابی وجدت أحدهم ینشد شعرا فارسیا فجال بخاطری أبیات فکتبتها علی ورقة لأعطیه إیاها حتی ینشدها فإذا به ینشد ما کتبت من شعر ولما أعطه الورقة فتفاءلت بهذه الحال وقلت فی نفسی إن الله تعالی وتبارک قد قضی حاجتی ثم ذهبت إلی جزجانان فمکثت بها حوالی شهر وظللت أشرب الخمر (۳۳)

مفاتیح البحث: شهر ربیع الثانی (۱)، خراسان (۱)، الرکوع، الرکعة (۱)، الدیة (۱)

صفحه ۰۰۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۴

قال النبی صلی الله علیه وسلم (قولوا الحق ولو علی أنفسکم) حتی إذا کانت ذات لیلة رأیت فی المنام رجلا یقول لی إلی متی تشرب هذا الشراب الذی یسلب لب الرجال خیر لک أن تصحو فأجبت إن الحکماء لا یستطیعون شیئا غیر هذا یقلل هموم الدنیا فأجاب إن التسریة عن النفس لا تتأتی بفقد الشعور والعقل والحکیم لا یستطیع أن یقول إن الرجل المسلوب الفؤاد یصلح هادیا للناس بل ینبغی علیه أن یبحث عما یزید العقل والحکمة قلت وأنی لی هذا قال من جد وجد ثم أشار إلی القبلة ولم یقل شیئا فلما صحوت من النوم کانت هذه الرؤیا ماثلة بأکملها أمامی وقد أثرت فی فقلت لنفسی صحوت من نوم البارحة وینبغی أن أصحو من نوم أربعین سنة خلت وأمعنت الفکر فوجدتنی لن أسعد ما لم أعدل عن کل سلوکی وفی یوم الخمیس من جمادی الآخر سنة ۴۳۷ (۲۰ دیسمبر ۱۰۴۵) منتصف شهر دی من السنة الفارسیة ۴۱۰ من التقویم الیزدجردی اغتسلت وذهبت إلی الجامع فصلیت ودعوت الله تبارک وتعالی أن یعیننی علی أداء الواجب وعلی ترک المنهیات والسیئات کما أمر الحق سبحانه تعالی

(۳۴)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، النوم (۱)

صفحه ۰۰۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۵

ثم توجهت من هناك إلى شبورغان وفى المساء كنت فى قرية باریاب ومنها سرت إلى مرو الرود عن طريق سنكلان وطالقان فلما بلغت مرو طلبت إعفائى مما عهد إلى من عمل وقلت إنى عازم على الحج ثم أديت ما على من حساب وتركت أموالى عدا القليل الضرورى منها وفى الثالث والعشرين من شعبان (۶ مارس ۱۰۴۶) عزمت على السفر إلى نيشابور فسرت من مرو إلى سرخس وهى على ثلاثين فرسخا منها ومن سرخس إلى نيشابور أربعون فرسخا وقد بلغتها يوم السبت الحادى عشر من شوال (۲۲ ابريل ۱۰۴۶) ويوم الأربعاء آخر هذا الشهر كسفت الشمس وكان الحاكم حينئذ طغرل بيك محمد أخو جغرى بيك وكانوا يشيدون مدرسة بقرب سوق السراجين أمر ببنائها وقد ذهب أثناء ولايته لأول مرة للاستيلاء على ولاية أصفهان وفى الثانى من ذى القعدة (۱۲ مايو ۱۰۴۶) غادرت نيشابور فى صحبة الأستاذ الموفق الذى كان مؤدبا للسلطان فبلغنا قومس عن طريق كوان وزرت الشيخ بايزيد البسطامى قدس الله روحه وفى الجمعة الثامن من ذى القعدة (۱۸ مايو ۱۰۴۶) سرت إلى دامغان

(۳۵)

مفاتيح البحث: شهر ذى القعدة (۲)، شهر شعبان المعظم (۱)، مدينة إصفهان (۱)، شهر شوال المكرم (۱)، الحج (۱)

صفحه ۰۰۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۶

ثم بلغت سمنان عن طريق آنجورى وجاشت خواران فى غرة ذى الحجة سنة ۴۳۷ (۹ يونيو ۱۰۴۶) وقد مكثت هناك زمنا وتعرفت بأهل العلم وقد دلونى على رجل اسمه على النسائى وهو شاب يتكلم الفارسية بلهجة الديالمة كان شعر رأسه مرسلا وكان وهو يتكلم يقول إنى قرأت كذا على الأستاذ أبى على سينا رحمه الله وهكذا سمعت عنه لكى أعرف أنه تلميذ ابن سينا ولما ناظرته قال إنى قليل المعرفة بكل علم وأحب أن أقرأ معك قليلا فى الحساب فخرجت متعجبا قلت ماذا يعلم الآخرين وهو لا يعلم شيئا وعدت من بلخ إلى الرى ثلاثمائة وخمسين فرسخا ويقال إنه من الرى إلى ساوه ثلاثون فرسخا ومن ساوه إلى همدان كذلك ومن الرى إلى أصفهان خمسون فرسخا وإلى آمل ثلاثون وبين الرى وآمل جبل دماوند وهو كالقبة ويسمى لواسان ويقال إن بقمته بئرا يستخرج منه النوشادر ويقال والكبريت أيضا فيصعد عليها رجال يحملون جلود البقر ويملئونها بالنوشادر ثم يدحرجونها من قمة الجبل لتعذر إيجاد طريق لنقلها وفى الخامس من محرم سنة ۴۳۸ (۱۳ يوليو ۱۰۴۶) الموافق العاشر من شهر مرداد سنة ۴۱۵ من تاريخ الفرس توجهت ناحية قزوين فبلغت قرية قوهة وكان بها قحط حتى بيع المن من خبز الشعير بدرهمين وقد غادرتها فى التاسع من محرم (۱۷ يوليو) فبلغت قزوين وهى آهلة بالحدائق التى لا تحدها أسوار أو أشواك فلا يحول دون دخولها عائق رأيت قزوين مدينة عظيمة ذات حصن مكين عليه شرفات وبها أسواق جميلة إلا أن الماء بها قليل وهو يجرى فى قنوات تحت الأرض وكان حاكمها رجلا من العلويين ويشتغل معظم صناعها بصناعة الأحذية وفى الثانى عشر من محرم سنة ۴۳۸ (۲۰ يوليو ۱۰۴۶) غادرت قزوين عن طريق بيل وقبان وهما من ضواحيها وسرت إلى قرية تسمى خرزويل

(۳۶)

مفاتيح البحث: شهر ذى الحجة (۱)، مدينة إصفهان (۱)، البيع (۱)

صفحه ۰۰۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۷

كان معنا أنا وأخى وغلام هندى كان يصحبنا زاد قليل فذهب أخى للقرية ليشترى شيئا من البقال فقال له أحدهم ماذا تريد أنا البقال فقلت كل ما عندك يناسبنا فإنا غرباء وعابرو سبيل فقال ليس عندى شىء أبدا وبعد ذلك كنت أقول إنه بقال خرزويل عن كل شخص فى أى مكان يقول كلاما من هذا النوع بعد مغادرة هذه القرية جزنا منحدرا صعبا وبعد مسيرة ثلاثة فراسخ بلغنا قرية تسمى الخير من أعمال طارم كان جوها حارا وبها شجر كثير من الرمان والتين ومعظمه برى ومن هناك اجتزنا نهرا يسمى شاه رود عليه قرية تسمى خندان تجبى فيها المكوس من قبل أمير الأمراء وهو من ملوك الديلم وحين يخرج النهر منها يلتقى بنهر آخر اسمه سبيدرود ثم يدخل النهران واديا شرقى جبال جيلان ويمر النهر بجيلان ثم يصب فى بحر آبسكون بحر قزوين ويقال إن ألفا وأربعمائة نهر تصب فى هذا البحر الذى يقال إن محيطه ألف ومائتا فرسخ وإن فى وسطه جزائر آهلة بالسكان وقد سمعت هذا من كثرين والآن أعود إلى رحلتى وما كان فيها ومن خندان إلى شميران ثلاثة فراسخ من صحراء صخرية كلها وشميران قصبة ولاية طارم وعلى حافة المدينة قلعة مرتفعة مشيدة على صخر صلد محاطة بثلاثة أسوار وقد حفرت فى وسطها قناة تجرى حتى شاطىء النهر ومنها يستخرجون الماء ويحملونه إلى القلعة ويقيم بها ألف رجل مختار من أبناء عظماء الولاية وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يضل أو يثور ويقال إن لهذا الأمير قلاعا كثيرة فى ولاية الديلم وإن العدل والأمن مستتبان بها فلا يستطيع أحد أن يغتصب شيئا من غيره بل إن الناس هناك يدخلون مسجد الجمعة ويتركون أحذيتهم خارجة فلا يأخذها أحد ويكتب هذا الأمير اسمه هكذا مرزبان الديلم جيل جيلان أبو صالح

(۳۷)

مفاتيح البحث: بحر قزوين (۱)، الضلال (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۰۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۸

مولى أمير المؤمنين واسمه جستان إبراهيم وقد رأيت فى شميران رجلا طيبا من دربند اسمه أبو الفضل خليفة بن على الفيلسوف كان رجلا فاضلا أضافنا وأكرمنا وقد تناظرنا معا واتصلت بيننا الصداقة سألنى علام عزمت فقلت أنى أنوى الحج قال أريد أن تمر بنا فى عودتك حتى أراك وفى السادس والعشرين من محرم (۳ أغسطس ۱۰۴۶) غادرت شميران وفى الرابع عشر من صفر (۲۱ أغسطس) بلغت مدينة سراب وغادرتها فى السادس عشر (۲۳ أغسطس) ثم مررت بسعيد آباد وبلغت تبريز فى عشرين صفر ۴۳۸ (۲۷ أغسطس ۱۰۴۶) وكان ذلك فى الخامس من شهر يور الشهر القديم وتبريز قصبة ولاية آذربيجان وهى مدينة عامرة وقد قست طولها وعرضها فكان كل منهما ألفا وأربعمائة قدم وكان ملك ولاية آذربيجان يذكر هكذا فى الخطبة الأمير الأجل سيف الدولة وشرف الملة أبو منصور وهسودان بن محمد مولى أمير المؤمنين وحكوا لى أنه فى ليلة الخميس السابع عشر من ربيع الأول ۴۳۴ (۵ ديسمبر ۱۰۴۲) فى الأيام المسترقة بعد العشاء زلزلت الأرض فخرب جزء من المدينة ولم يصب الجزء الآخر بسوء ويقال إنه هلك فيها حينئذ أربعون ألف نسمة ورأيت فى تبريز شاعرا اسمه قطران يقول شعر

(۳۸)

مفاتيح البحث: آذربيجان (۲)، شهر ربيع الأول (۱)، أربعين الإمام الحسين عليه السلام (۱)، الحج (۱)، الهلاك (۱)

صفحه ۰۰۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۳۹

جمیلا ولکنه لم یکن یجید الفارسیة وقد زارنی ومعه دیوانی منجیک والدقیقی وقرأ علی منهما وسألنی عما أشکل علیه من المعانی فکنت أجیبه وهو یکتب ما أقول ثم تلی علی شیئا من أشعاره فی الرابع عشر من ربیع الأول (۱۹ سبتمبر) غادرت تبریز عن طریق مرند مع جماعة من جیش الأمیر وهسودان فسرنا حتی بلغنا خوی ومن هناک سرنا إلی بر کری بصحبة رسول ومن خوی إلی برکزی ثلاثون فرسخا وقد بلغناها فی الثانی عشر من جمادی الأولی (۱۶ نوفمبر) ومن هناک ذهبنا إلی وان ثم إلی وسطان وکان لحم الخنزیر یباع فی سوقها کما یباع الضأن ویجلس نساؤها ورجالها أمام الحوانیت ویشربون بغیر حیاء ومن هناک بلغنا مدینة أخلاط فی الثامن عشر من جمادی الأولی (۲۲ نوفمبر) وهی علی الحدود ما بین بلاد المسلمین والأرمن وبینها

(۳۹)

مفاتیح البحث: شهر جمادی الأولی (۲)، شهر ربیع الأول (۱)

صفحه ۰۰۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۰

وبین برکری تسعة عشر فرسخا وعلیها أمیر اسمه نصر الدولة نیف علی المائة وله أبناء کثیرون أعطی کلا منهم ولایة ویتکلمون بها ثلاث لغات العربیة والفارسیة والأرمنیة وأظن أنها سمیت أخلاط لهذا السبب والمعاملة هناک بالنقود النحاسیة ورطلهم ثلاثمائة درهم فی العشرین من جمادی الأول (۲۴ نوفمبر) غادرنا أخلاط ونزلنا فی رباط کروانسرای کانت السماء تمطر ثلجا والبرد قارسا وقد غرسوا فی جزء من الطریق عمدا لیسیر المسافرون علی هدیها أیام الثلج والضباب ثم بلغنا مدینة بطلیس وهی واقعة فی واد وقد اشترینا منها عسلا المائة من بدینار حسب ما باعونا ویقال إن بها من یجنی فی السنة الواحدة ثلاثمائة وأربعمائة جرة عسل وخرجنا منها فرأینا قلعة تسمی قف انظر وترکناها إلی مکان به جامع یقال بناه أویس القرنی قدس الله روحه ورأیت الناس عند حدوده یطوفون بالجبل ویقطعون أشجارا تشبه السرو فسألت ماذا تعملون بها فقالوا نضع طرفا من الشجرة فی النار فیخرج هذا القطران من طرفها الآخر فنجمعه فی البئر ثم نضعه فی أوعیة ونحمله إلی الأطراف وهذه الولایات التی ذکرت بعد أخلاط وقد اختصرنا ذکرها هنا

(۴۰)

مفاتیح البحث: أویس القرنی (۱)، السب (۱)

صفحه ۰۱۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۱

تابعة لمیافارقین ثم سرنا إلی مدینة أرزن وهی مدینة عامرة وجمیلة فیها أنهار جاریة وبساتین وأشجار وأسواق جمیلة ویبیع البرسیون هناک المائتا من عنبا بدینار واحد فی شهر آذر نوفمبر ودیسمبر ویسمون هذا العنب رز إرمانوش وانتقلنا إلی مدینة میافارقین التی یفصلها عن أخلاط ثمانیة وعشرون فرسخا ومن بلخ إلیها عن الطریق الذی إجتزناه اثنان وخمسون وخمسمائة فرسخ وقد دخلناها یوم الجمعة السادس والعشرین من جمادی الأول ۳۳۸ (۲۳ نوفمبر ۱۰۳۶) وکانت أوراق الشجر حینئذ لا تزال خضراء وبمیافارقین محاطة بسور عظیم من الحجر الأبیض الذی یزن الحجر منه خمسمائة من وعلی بعد کل خمسین ذراعا من هذا السور برج عظیم من الحجر نفسه وفی أعلاه شرفات وهی من الدقة بحیث تقول أن ید بناء ماهر أکملتها الیوم ولهذه المدینة باب من ناحیة الغرب له عتبة علیها

طاق حجرى وقد ركب عليها باب من حديد لا خشب فيه ويطول وصف مسجد الجمعة بها لو ذكرته ولو أن صاحب الكتاب شرح كل شيء أتم الشرح وقد قال إن للميضأة التى عملت بهذا المسجد أربعين مرحاضا تمر أمامها قناتان كبيرتان الأولى ظاهرة ليستعمل ماؤها والثانية وهى تحت الأرض لحمل الثفل وللصرف وخارج هذه المدينة فى الربض أربطة كروانسراها وأسواق وحمامات ومسجد وجامع آخر يصلون فيه الجمعة أيضا وفى ناحية الشمال سواد آخر يسمى المحدثة به سوق ومسجد

(۴۱)

مفاتيح البحث: السجود (۴)

صفحه ۰۱۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۲

جامع وحمامات وكل ما ينبغى لمدينة من مهمات ويذكر اسم سلطان الولاية فى الخطبة هكذا الأمير الأعظم عز الإسلام سعد الدين نصر الدولة وشرف الملة أبو نصر أحمد وقد بلغ المائة من عمره ويقال إنه حى والرطل هناك أربعمائة وثمانون درهما وقد بنى هذا الأمير مدينة على مسافة أربعة فراسخ من ميافارقين سماها الناصرية ومن آمد إلى ميافارقين تسعة فراسخ فى السادس من شهر دى القديم (۲۲ ديسمبر ۱۰۳۶) بلغنا آمد التى شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم وعرضها كذلك وهى محاطة بسور من الحجر الأسود كل حجر منه يزن ما بين مائة وألف من وأكثر هذه الحجارة ملتصق بعضه بالبعض من غير طين أو جص وارتفاع السور عشرون ذراعا وعرضه عشر أذرع وقد بنى على بعد كل مائة ذراع برج نصف دائرته ثمانون ذراعا وشرفاته من هذا الحجر بعينه وقد شيدت فى عدة أماكن داخل المدينة سلالم من الحجر ليتيسر الصعود إلى السور وقد بنيت قلعة على قمة كل برج ولهذه المدينة أربعة أبواب كلها من الحديد الذى لا خشب فيه يطل كل منها على جهة من الجهات الأصلية ويسمى الباب الشرقى باب دجلة والغربى باب الروم والشمالى باب الأرمن والجنوبى باب التل وخارج هذا السور سور آخر من نفس الحجر ارتفاعه عشر أذرع ومن فوقه شرفات فيها ممر يتسع لحركة رجل كامل السلاح بحيث يستطيع ان يقف فيه ويحارب بسهولة ولهذا السور الخارجى أبواب من الحديد شيدت مخالفة لأبواب السور الداخلى بحيث لو اجتاز السائر أبواب السور الأول وجب عليه اجتياز مسافة لبلوغ أبواب السور الثانى وهذه المسافة تبلغ خمس عشرة ذراعا وفى وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الصلب وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفى لإدارة خمس طواحين وهو غاية فى العذوبة ولا يعرف أحد من أين ينبع وفى المدينة أشجار وبساتين تقى من هذا الماء وأمير المدينة وحاكمها هو ابن نصر

(۴۲)

مفاتيح البحث: الحجر الأسود (۱)

صفحه ۰۱۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۳

الدولة الذى مر ذكره وقد رأيت كثيرا من المدن والقلاع فى أطراف العالم فى بلاد العرب والعجم والهند والترك ولكنى لم أر قط مثل مدينة آمد فى أى مكان على وجه الأرض ولا سمعت من أحد أنه رأى مكانا آخر مثلها ومسجدها الجامع من الحجر الأسود وليس مثله متانة وإحكاما وقد أقيم فى وسطه مائتا عمود ونيف من الحجر كل عمود قطعة واحدة وفوق هذه الأعمدة عقود من الحجر وقد نصبت فوقها أعمدة أقصر من تلك وجميع أسقف المسجد على هيئة الجملون وقد كملت نجارة ونقارة ونقشا ودهنا وفى ساحته صخرة كبيرة عليها حوض كبير مستدير من الحجر يبلغ ارتفاعه قامة رجل ومحيط دائرته ذراعان وفى وسط الحوض أنبوبة من النحاس يتفجر منها ماء صاف لا يظهر مدخله أو مخرجه وبالمسجد ميضأة عظيمة جميلة الصنع بحيث لا يوجد أحسن منها وقد بنيت عمارات

آمد کلها من الحجر الأسود وأما میافارقین فعماراتها من الحجر الأبیض وبالقرب من المسجد کنیسة عظیمة غنیة بالزخارف مبنیة کلها من الحجر وقد فرشت أرضها بالرخام المنقوش وقد رأیت فیها علی الطارم وهو مکان العبادة عند النصاری بابا من الحدید المشبک لم أر مثله فی أی مکان ومن آمد إلی حران طریقان أحدهما لا- عمران فیه وهو أربعون فرسخا والثانی به أماکن معمورة وقری کثیرة معظم أهلها من النصاری وهو ستون

(۴۳)

مفاتیح البحث: الحجر الأسود (۲)، الهند (۱)، السجود (۲)

صفحه ۰۱۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۴

فرسخا وقد سرنا مع القافلة فی هذا الطریق وکانت الصحراء غایة فی الاستواء إلا أن بها أحجارا کثیرة بحیث لا تستطیع الدواب أن تخطو خطوة واحدة من غیر أن تعثر بحجر وقد بلغنا حران یوم الجمعة الخامس والعشرین من جمادی الآخر سنة ۳۳۸ (۲۸ دیسمبر ۱۰۴۶) الموافق اثنین وعشرین من شهر دی القدیم وکان هواؤها فی ذلک الوقت کهواء خراسان أیام النوروز وسرنا من هناک فبلغنا مدینة تسمی قرول حیث أضافنا رجل کریم فی بیته وهناک دخل أعرابی فی الستین من عمره فاقترب منی وقال حفظنی القرآن فلقنته * (قل أعوذ برب الناس) * فکان یقرؤها معی فلما وصلت إلی آیة * (من الجنة والناس) * قال أقول أیضا سورة أرأیت الناس فقلت هذه السورة لیست قبل تلک فقال ما سورة نقالة الحطب ولم یعرف أنه قیل فی سورة * (تبت) * حمالة الحطب لا نقالة الحطب ولم یستطع هذا الأعرابی المشرف علی الستین فی تلک اللیلة أن یحفظ سورة * (قل أعوذ) * مع تکراری لها معه وفی یوم السبت الثانی من رجب سنة ۳۳۸ (۲ ینایر ۱۰۴۷) بلغنا مدینة سروج واجتزنا الفرات فی الیوم التالی ونزلنا فی منبج وهی أول مدن الشام وکان هذا أول بهمن القدیم ینایر فبرایر والطقس هناک معتدل جدا ولم یکن خارج المدینة عمارات قط وقد سرت منها إلی حلب ومن میافارقین إلیها إلی حلب مائة فرسخ ورأیت مدینة حلب فإذا هی جمیلة بها سور عظیم قست ارتفاعه فکان خمسا وعشرین ذراعا وبها قلعة عظیمة مشیدة کلها من الصخر ویمکن مقارنة حلب ببلخ وهی مدینة عامرة أبنیتها متلاصقة وفیها تحصل المکوس عما یمر بها من بلاد الشام والروم ودیار بکر ومصر والعراق

(۴۴)

مفاتیح البحث: دولة العراق (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، نهر الفرات (۱)، القرآن الکریم (۱)، خراسان (۱)، الشام (۲)، الکرم، الکرامة (۱)

صفحه ۰۱۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۵

ویذهب إلیها التجار من جمیع هذه البلاد ولها أربعة أبواب باب الیهود وباب الله وباب الجنان وباب أنطاکیة والوزن فی سوقها بالرطل الظاهری وهو أربعمائة وثمانون درهما وتقع حما جنوبی حلب بعشرین فرسخا ومن بعدها حمص ومن حلب إلی دمشق خمسون فرسخا وإلی أنطاکیة اثنا عشر فرسخا وإلی طرابلس کذلک ویقال إن من حلب حتی القسطنطینیة مائتی فرسخ وفی الحادی عشر من رجب سنة ۴۳۸ (۱۱ ینایر ۱۰۴۷) خرجنا من حلب وعلی مسافة ثلاثة فراسخ منها قریة تسمی جند قنسرین وفی الیوم التالی سرنا ستة فراسخ وبلغنا مدینة سرمین التی لا سور لها وبعد مسیرة ستة فراسخ أخری بلغنا معرة النعمان وهی مدینة عامرة ولها سور مبنی وقد رأیت علی بابها عمودا من الحجر علیه کتابة غیر عربیة فسألت ما هذا فقیل إنه طلسم العقرب حتی لا یکون فی هذه المدینة عقرب

أبـدا ولا يأتى إليها وإذا أحضـر من الخارج وأطلق بها فإنه يهرب ولا يـدخلها وقـد قست هذا العمود فكان ارتفاعه عشـر أذرع ورأيت أسواق معرة النعمان وافرة العمران وقد بنى مسـجد الجمعة على مرتفع وسط المدينة بحيث يصعدون اليه من أى جانب يريدون وذلك على ثلاث عشـرة درجـة وزراعـة السـكان كلها قمـح وهو كثير وفيها شـجر وفير من التين والزيتون والفسـتق والعنب ومياه المدينـة من المطر والآبار وكان بهـذه المدينـة رجل أعمى اسـمه أبو العلاء المعرى وهو حاكمها وكان واسع الثراء عنده كثير من العبيد وكان أهل البلد خدم له

(۴۵)

مفاتيح البحث: أبو علاء المعرى (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، دمشق (۱)، الوسعة (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۱۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۶

أما هو فقد تزهد فلبس الكلتم واعتكف فى البيت وكان قوته نصف من من خبز الشعير لا يأكل غيره وقد سمعت أن باب سراية مفتوح دائما وأن نوابه وملازميه يـدبرون أمر المدينـة ولا يرجعون إليه إلا فى الأمور الهامـة وهو لا يمنع نعمته أحـدا يصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشـغل نفسه مطلقا بأمر دنيوى وقـد سـما المعرى فى الشـعر والأدب إلى حد أن أفاضل الشام والمغرب والعراق يقرون بأنه لم يكن من يـدانيه فى هـذا العصـر ولاـ يكون وقـد وضع كتابـا سـماه الفضول والغايات ذكر به كلمات مرموزة وأمثالا فى لفظ فصـيح عجيب بحيث لاـ يقف النـاس إلاـ على قليل منه ولا يفهمه إلا من يقرأه عليه وقـد اتهموه بأنك وضـعت هـذا الكتاب معارضـة للقرآن يجلس حوله دائما أكثر من مائتى رجل يحضـرون من الأطراف يقرءون عليه الأدب والشـعر وسـمعت أن له أكثر من مائة ألف بيت شـعر سأله رجل لم تعط الناس ما أفاء الله تبارك وتعالى عليك من وافر النعم ولا تقوت نفسك فأجاب إنى لا أملك أكثر مما يقيم أودى وكان هذا الرجل حيا وأنا هناك وفى الخامس عشـر من رجب سـنة ۳۳۸ (۱۵ يناير ۱۰۴۷) سـرنا إلى كويمات ومنها إلى حما وهذه المدينة جميلة عامرة على شاطىء نهر العاصـى ويسـمى هذا النهر بالعاصـى لأنه يذهب إلى بلاد الروم فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلاد الكفر وقـد نصـبوا عليه سواقى كثيرة ومن حما طريقان أحـدهما بجانب الساحل غرب الشام والآخر فى الجنوب وهو ينتهى إلى دمشـق فسـرنا عن طريق الساحل وقـد رأينا فى الجبل عينا قيل إن ماءها يتفجر فى الثلاثة أيام التالية لنصف شـعبان من كل سـنة ثم ينضب فلا تخرج منه قطرة واحدة حتى السنة التالية ويذهب الكثيرون

(۴۶)

مفاتيـح البحث: دولة العراق (۱)، النصف من شـعبان (۱)، شـهر رجب المرجب (۱)، الشام (۲)، دمشق (۱)، الصيام، الصوم (۱)، المنع (۱)، الأكل (۱)، النضوب (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۱۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۷

لزيارة هذه العين تقربا إلى الله سـبحانه وتعالى وقد بنيت هناك عمارات وأحواض ولما سـرنا من هناك بلغنا سهلا كساه النرجس ثوبا أبيض وذهبنا بعـد ذلك إلى مدينـة تسـمى عرقـة وبعـد مسـيرة فرسـخين منها بلغنا شاطىء البحر فتبعناه ناحية الجنوب حتى بلغنا مدينة طرابلس بعـد مسـيرة خمسة فراسخ ومن حلب إلى طرابلس أربعون فرسـخا عن هذا الطريق وكان بلوغنا إياها يوم السـبت الخامس من شعبان (۶ فبراير) وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السـكر وأشجار النارنج والترنج والموز والليمون والتمر وكان عسل السـكر يجمع حينـذاك ومدينـة طرابلس مشـيدة بحيث أن ثلاثـة من جوانبها مطلـة على البحر فإذا ماج علت أمواجه السور أما الجانب

المطل على اليابس فبه خندق عظيم عليه باب حديدى محكم وفى الجانب الشرقى من المدينة قلعة من الحجر المصقول عليها شرفات ومقاتلات من الحجر نفسه وعلى قمتها عرادات لوقايتها من الروم فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن ومساحة المدينة ألف ذراع مربع وأربطتها أربع أو خمس طبقات ومنها ما هو ست طبقات أيضا وشوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين وقد رأيت بطرابلس ما رأيت فى بلاد العجم من الأطعمة والفواكه بل أحسن منه

(۴۷)

مفاتيح البحث: شهر شعبان المعظم (۱)، الطعام (۱)

صفحه ۰۱۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۸

مائة مرة وفى وسط المدينة جامع عظيم نظيف جميل النقش حصين وفى ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام فى وسطه فواره من النحاس الأصفر وفى السوق مشرعة ذات خمسة صنابير يخرج منها ماء كثير يأخذ منه الناس حاجتهم ويفيض باقيه على الأرض ويصرف فى البحر ويقال إن بها عشرين ألف رجل ويتبعها كثير من السواد والقرى ويصنعون بها الورق الجميل مثل الورق السمرقندى بل أحسن منه وهى تابعة لسلطان مصر قيل وسبب ذلك أنه فى زمن ما أغار عليها جيش الروم الكفار فحاربه جند سلطان مصر وقهروه فرفع السلطان الخراج عنها وأقام بها جيشا من قبله على رأسه قائد لحمايتها من العدو وتحصل المكوس بهذه المدينة فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنج والأندلس والمغرب العشر للسلطان فيدفع منه أرزاق الجند وللسلطان بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة وسكان طرابلس كلهم شيعة وقد شيد الشيعة مساجد جميلة فى كل البلاد وهناك بيوت على مثال الأربطة ولكن لا يسكنها أحد وتسمى مشاهد ولا يوجد خارج طرابلس بيوت أبدا عدا مشهدين أو ثلاثة من التى مر ذكرها وغادرت طرابلس وسرت على شاطىء البحر ناحية الجنوب فرأيت على مسافة فرسخ واحد قلعة تسمى قلمون فى داخلها عين ماء وسرت من هناك إلى طرابزون ومن طرابلس إليها خمسة فراسخ ومنها بلغنا مدينة جبيل وهى مثلثة تطل زاوية منها على البحر ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع وحولها النخيل غيره من أشجار المناطق الحارة وقد رأيت فى يد غلام بها وردة حمراء وأخرى بيضاء ناضرة وكان ذلك فى اليوم الخامس من استدارمذ الشهر القديم (فبراير) سنة ۳۱۵ من تاريخ العجم ومن هناك بلغنا بيروت فرأيت بها طاقا حجريا شق الطريق فى وسطه وقد قدرت ارتفاعه بخمسين ذراعا وجانباه من الحجر الأبيض

(۴۸)

مفاتيح البحث: مدينة بيروت (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۱۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۴۹

تزن كل قطعة منه أكثر من ألف من وعلى جانبيه بناء من الطوب النيىء ارتفاعه عشرون ذراعا وقد نصبت على قمته أعمدة من الرخام طول كل منها ثمانية أذرع وهى سميكة بحيث لا يستطيع رجلان أن يحيطاها بأذرعهما إلا بصعوبة وعلى رأس هذه العمد عقود على الجانبين كلها من الحجر المنحوت الذى لا يفصله عن بعضه حص أو طين وفى الوسط تماما الطاق الكبير يعلوها بخمسين ذراعا وقد قست كل حجر منه فإذا به ثمانية أذرع طولا وأربعة عرضا وأظن الحجر الواحد يزن سبعة آلاف من وقد نقشت هذه الحجارة بدقة ومهارة بحيث يقل ما يشابهها مما ينقش على الخشب ولم يبق هناك أبنية غير هذا الطاق وقد سألت أى مكان هذا فقيل لى سمعنا أنه باب حديقة فرعون وهو بالغ فى القدم والوادى المجاور لهذه الناحية مملوء بأعمدة الرخام تيجانها وجذوعها وهى من الرخام المدور

والمربع والمسدس والمثمن وهی من الصلابة بحیث لا یؤثر فیها الحدید ولیس فی هذه الجهة جبل حتی یقال إنهم جلبوها منه وهناک حجارة تبدو کأنها معجونة جرانیت وهی تفل الحدید وفی نواحی الشام أکثر من خمسمائة ألف من أعمدة وتیجان وجذوع ولا یعرف أحد ماذا کانت ولا من أین نقلت ثم بلغنا مدینة صیدا وهی علی شاطیء البحر أیضا یزرع بها قصب السکر بوفرة وبها قلعة حجریة محکمة ولها ثلاث بوابات وفیها مسجد جمعة جمیل یبعث فی النفس هیبة تامة وقد فرش کله بالحصیر المنقوش وفی صیدا سوق جمیل نظیف وقد ظننت حین رأیته أنه زین خاصة لمقدم السلطان أو لأن بشری سعیدة أذیعت فلما سألت قیل لی هکذا عادة هذه المدینة دائما وفیها حدائق وأشجار منسقة حتی لتقول إن سلطانا هاویا غرسها وفی کل من هذه الحدائق کشک وأغلب شجرها مثمر

(۴۹)

مفاتیح البحث: الشام (۱)، الغلّ (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۱۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۰

وبعد مسیرة خمسة فراسخ علی شاطیء البحر بلغنا مدینة صور وهی ساحلیة أیضا وقد بنیت علی صخرة امتدت فی الماء بحیث أن الجزء الواقع علی الیابس من قلعتها لا یزید علی مائة ذراع والباقی فی ماء البحر والقلعة مبنیة بالحجر المنحوت الذی سدت فجواته بالقار حتی لا یدخل الماء من خلله وقد قدرت المدینة بألف ذراع مربع وأربطتها من خمس أو ست طبقات وکلها متلاصقة وفی کثیر منها نافورات وأسواقها جمیلة کثیرة الخیرات وتعرف مدینة صور بین مدن ساحل الشام بالثراء ومعظم سکانها شیعة والقاضی هناک رجل سنی اسمه ابن أبی عقیل وهو رجل طیب ثری وقد بنی علی باب المدینة مشهد به کثیر من السجاجید والحصیر والقنادیل والثریات المذهبة والمفضضة وصور مشیدة علی مرتفع وتأتیها المیاه من الجبل وقد شید علی بابها عقود حجریة یمر من فوقها إلی المدینة وفی الجبل واد مقابل لها إذا سار السائر فیه ثمانیة عشر فرسخا ناحیة المشرق بلغ دمشق بعد أن سرنا سبعة فراسخ من صور بلغنا عکة وتکتب هناک مدینة عکة وهی مشیدة علی مرتفع بعضه من أرض وعرة وبعضه سهل ولم تشید المدینة فی الوادی المنخفض مخافة غلبة ماء البحر علیها وخشیة أمواجه التی تعج علی الساحل ومسجد الجمعة فی وسط المدینة وهو أعلی مبانیها وأعمدتها کلها من الرخام ویقع قبر صالح النبی علیه السلام خارجه علی یمین القبلة وساحته بعضها من الحجر وبعضها الآخر مزروع ویقال إن آدم علیه السلام کان یزرع هناک ومسحت المدینة فکان طولها ألفی ذراع وعرضها خمسمائة ولها قلعة غایة فی الإحکام یطل جانباها الغربی والجنوبی علی البحر وعلی الأخیر میناء ومعظم مدن الساحل کذلک والمیناء اسم یطلق علی الجهة التی بنیت للمحافظة علی السفن وهی تشبه الاسطبل وظهرها ناحیة المدینة وحائطاها داخلان فی البحر وعلی امتدادهما مدخل مفتوح طوله خمسون ذراعا وقد شدت السلاسل بین

(۵۰)

مفاتیح البحث: مدینة مشهد المقدسة (۱)، النبی آدم علیه السلام (۱)، ابن أبی عقیل (۱)، الشام (۱)، دمشق (۱)، القبر (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۲۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۱

الحائطین فإذا أرید إدخال سفینة إلی المیناء أرخیت السلسلة حتی تغوص فی الماء فتمر السفینة فوقها ثم تشد حتی لا یستطیع عدو أن

یقصدها بسوء وعند الباب الشرقی علی الید الیسری عین یصلون إلی مائها بنزول ست وعشرین درجة وتسمی عین البقر ویقال آدم علیه السلام هو الذی کشفها وکان یسقی منها بقرته ولذا سمیت عین البقر وحین یذهب المسافر من عکة ناحیة المشرق یجد جبلا به مشاهد الأنبیاء علیهم السلام وهذا الجبل واقع علی جانب الطریق المؤدی إلی الرملة وقد عزمت علی التبرک بزیارة هذه المشاهد والتقرب إلی الله تبارک وتعالی وقد قال سکان عکة إن فی الطریق أشرارا یتعرضون لم یرون من الغرباء وینهبون ما معهم فأودعت نفقتی بمسجد عکة وخرجت من بابها الشرقی یوم السبت الثالث والعشرین من شعبان سنة ۳۳۸ (۵ مارس ۱۰۳۷) وقد زرت فی الیوم الأول قبر عک بانی المدینة وهو أحد الصالحین الأولیاء وکنت حائرا إذا لم یکن معی دلیل یرشدنی وفجأة تعرفت فی الیوم نفسه بفضل من الله تبارک وتعالی برجل من العجم أتی من آذربیجان للتبرک بزیارة المشاهد مرة أخری فشکرت لله تبارک وتعالی هبته وصلیت رکعتین وسجدت له شکرا علی توفیقه إیای لأفی بعزمی ثم بلغت قریة تسمی بروة وزرت قبر عیش وشمعون علیهما السلام ومن هناک بلغت مغارک التی تسمی دامون فزرت المشهد المعروف بقبر ذی الکفل علیه السلام ثم واصلت السیر إلی قریة أخری تسمی أعبلین وبها قبر هود علیه السلام فزرته وکان بحظیرته شجرة الخرتوت وکذلک زرت هناک قبر النبی عزیر علیه السلام ثم یممت وجهی شطر الجنوب فبلغت قریة تسمی حظیرة

(۵۱)

مفاتیح البحث: الأنبیاء (ع) (۱)، النبی آدم علیه السلام (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، آذربیجان (۱)، السجود (۱)، القبر (۴)، الشهادة (۳)، الرکوع، الرکعة (۱)، التبرک (۱)، السفینة (۲)

صفحه ۰۲۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۲

وفی الجانب الغربی منها واد به عین ماء عذب تخرج من الصخر وقد بنی أمامها مسجد علی الصخر به بیتان صخریان فوقهما سقف من الحجر أیضا وعلیهما باب صغیر یستطیع الزائر دخوله بصعوبة وهناک قبران متجاوران أحدهما قبر شعیب علیه السلام والثانی قبر ابنته التی کانت زوج موسی علیه السلام ویعنی أهل هذه القریة بهذا المسجد عنایة فائقة من تنظیف وإنارة وغیر ذلک ومن هناک بلغت قریة تسمی إربل وفی ناحیة القبلة منها جبل فی وسطه حظیرة بها أربعة قبور لأربعة من أبناء یعقوب إخوة یوسف علیهم السلام وذهبت من هناک فرأیت تلا من تحته غار فیه قبر أم موسی علیه السلام فزرته ثم خرجت فبدا لی واد فی آخره بحر صغیر تقع علیه طبریة طوله ستة فراسخ وعرضه ثلاثة وماؤه عذب لذیذ وتقع غربیة المدینة وتصرف فی هذا البحر کل میاه الحمامات وفضلات المدینة وکذلک یشرب منه سکانها وسکان الولایة التی علی شاطئه وسمعت أن أمیرا دخل هذه المدینة ذات مرة فأمر بسد قنوات القاذورات والماء الملوث حتی لا تفضی إلی البحر فنتن ماؤه وأصبح لا یصلح للشرب فأمر ثانیة بفتح هذه القنوات فعاد ماء البحر عذبا ولطبریة سور حصین یبدأ من شاطئ البحر ویمتد حول المدینة والطرف المحدود بالبحر لا حائط له وبها مبان کثیرة فی وسط البحر فإن قاعه صخری وقد شیدت هناک مناظر علی رؤوس أعمدة رخامیة أساسها فی الماء وفی بحر طبریة سمک کثیر ومسجد الجمعة فی وسط المدینة وعند بابه عین ماء بنی عند رأسها حمام ماؤه ساخن فلا یستطیع مستحم أن یصبه علی جسده من غیر أن یمزجه بماء بارد ویقال إن الذی بناه هو سلیمان بن داود علیه السلام وقد دخلته وفی الجانب الغربی من مدینة طبریة مسجد اسمه مسجد الیاسمین وهو مسجد جمیل فی وسطه ساحة کبیرة بها محا ریب وحولها الیاسمین الذی سمی به المسجد وفی رواق بالجانب الشرقی قبر یوشع بن نون وتحت هذه الساحة قبور سبعین نبیا علیهم السلام قتلهم بنو إسرائیل

(۵۲)

مفاتیح البحث: الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیهما السلام (۲)، یوشع بن نون علیه السلام (۱)، سلیمان بن داود (۱)، إربل (۱)، القبر

(۶)، السجود (۷)، القتل (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۰۲۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۳

وجنوب طبریة بحر لوط وهو مالح المیاه ویصب به ماء بحر طبریة وکانت مدینة لوط تقع علی شاطئه ولم یبقی منها أثر قط وسمعت من انسان أن فی میاه بحر لوط المالحة شیئا کالحجارة السوداء غیر صلب یشبه البقر یخرج من قاعه فیأخذه السکان ویقطعونه ویحملونه إلی المدن والولایات ویقال إنه إذا وضعت قطعة منه تحت شجرة یمتنع الدود عنها من غیر أن یمس جذرها أذی منه فلا یتلف البستان مما تحت الأرض من دود وحشرات والعهدة علی الراوی وقیل کذلک إن العطارین یستخدمونه لأنه یبعد دودة تصیب البذور اسمها النقرة وفی طبریة یصنعون الحصیر ومنه حصیر الصلاة وتشتری الواحدة منها بخمسة جنیهات مغربیة وفی الجانب الغربی من المدینة جبل فیه قطعة من حجر المرمر مکتوب علیها بخط عبری أن الثریا کانت علی رأس الحمل ساعة الکتابة ویقع قبر أبی هریرة خارج المدینة ناحیة القبلة ولکن لا یستطیع أحد زیارته لأن السکان هناک شیعة فإذا ذهب أحد للزیارة تجمع علیه الأطفال وتحرشوا به وحملوا علیه وقذفوه بالحجارة ولهذا لم أستطع زیارته سرت بعد ذلک إلی قریة تسمی کفرکنه بجانبها تل بنیت علی قمته صومعة جمیلة بها قبر النبی یونس علیه السلام وعلیها باب متین بقربه بئر ماؤها عذب وقد عدت إلی عکا بعد زیارة هذا المشهد وبینهما مسافة أربعة فراسخ فمکثت بها یوما واحدا ثم غادرتها إلی قریة تسمی حیفا وفی طریق به کثیر من هذا الرمل الذی یستخدمه صیاغ العجم والمسمی بالرمل المکی وحیفا مشیدة علی البحر وبها نخل وأشجار کثیرة وهناک عمال یصنعون السفن البحریة المسماة بالجودی وسرنا بعد ذلک فبلغنا بعد مسیرة فرسخ واحد قریة أخری تسمی کنیسة وعندها ینحرف الطریق عن البحر ویدخل الجبل ناحیة المشرق حیث الصحروات والمحاجر التی تسمی وادی التماسیح ویعود لمحاذاة الشاطئ بعد مسیرة فرسخین وهناک رأینا عظام حیوانات بحریة کثیرة مختلطة بالتراب

(۵۳)

مفاتیح البحث: أبو هریرة العجلی (۱)، القبر (۲)، الزیارة (۱)، الصّلاة (۱)، الصّلب (۱)، الشهادة (۱)

صفحه ۰۲۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۴

والطین وقد تحجرت من کثرة ما ثار علیها من الموج وقمنا من هناک وسرنا حتی بلغنا مدینة تسمی قیساریة بینها وبین عکا سبعة فراسخ وهی مدینة جمیلة بها ماء جار ونخیل وأشجار النارنج والترنج ولها سور حصین له باب حدیدی وبها عیون ماء جاریة ومسجد الجامع جمیل ویری المصلون البحر ویتمتعون به وهم جلوس فی ساحته وهناک زیر من الرخام یشبه الخزف الصینی وهو عمیق بحیث یسع مائة من ماء فی یوم السبت آخر شعبان (۱۰ مارس) قمنا من هناک وسرنا مقدار فرسخ عن طریق الرمل المکی وقد رأیت فی الطریق کله سهله وجبله کثیرا من شجر التین والزیتون وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدینة تسمی کفرسابا أو کفر سلام ومنها حتی الرملة ثلاثة فراسخ فی طریق کله شجر کالذی ذکرت وفی یوم الأحد غرة رمضان (۱۱ مارس) بلغنا الرملة ومن قیساریة إلیها ثمانیة فراسخ وهی مدینة کبیرة بها سور حصین من الحجر والجص مرتفع ومتین وعلیه أبواب من حدید ومن المدینة إلی الشاطئ البحر ثلاثة فراسخ والماء هناک من المطر ولذا فقد بنی فی کل منزل حوض لجمیع میاه المطر فیبقی ذخیرة دائمة وفی وسط مسجد الجمعة أحواض تمتلی بالماء فیأخذ منه من یشاء ومساحة الجامع ثلاثمائة قدم فی مائتین وقد کتب أمام الضفة إنه فی الخامس عشر من شهر محرم سنة ۴۲۵ (۱۱ دیسمبر ۱۰۳۳) زلزلت الأرض بشدة هنا فخربت عمارات کثیرة ولم یصب أحد من السکان بسوء وفی هذه المدینة رخام

کثیر وقد زینت معظم السرایات والبیوت بالرخام المنقوش الکثیر الزینة ویقطع الرخام بمنشار لا أسنان له وبالرمل المکی ویعملون المنشار علی أعمدة الرخام بالطول لا بالعرض فیخرجون منه ألواحا کألواح الخشب ورأیت هناک أنواعا وألوانا من

(۵۴)

مفاتیح البحث: شهر رمضان المبارک (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، شهر محرم الحرام (۱)، السجود (۲)

صفحه ۰۲۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۵

الرخام من الملمع والأخضر والأحمر والأسود والأبیض ومن کل لون وفی الرملة صنف من التین لیس أحسن منه فی أی مکان یصدر منها إلی جمیع البلاد وتسمی مدینة الرملة فی الشام والمغرب فلسطین وفی الثالث من رمضان غادرت الرملة فبلغت قریة تسمی خاتون وقد سرت منها إلی قریة أخری تسمی قریة العنب وقد رأینا فی الطریق کثیرا من نبات السذاب الذی ینبت بریا علی الجبال وفی الصحراء وقد رأیت فی هذه القریة عین ماء عذب تخرج من الصخر وقد بنیت هناک أحواض وعمارات وقد ذهبنا صاعدین وکنا نحسب أنا بعد صعود الجبل سنهبط إلی المدینة فی الطرف الآخر ولکنا وجدنا أمامنا بعد أن صعدنا قلیلا سهلا واسعا بعضه صخری وبعضه کثیر التراب وعلی رأس جبل فیه تقع مدینة بیت المقدس ومن طرابلس التی هی علی الساحل إلیها ستة وخمسون فرسخا ومن بلخ إلیها ستة وسبعون وثمانمائة فرسخ وفی الخامس من رمضان سنة ۴۳۸ (۱۶ مارس ۱۰۴۷) بلغنا بیت المقدس وکان قد مضی علی خروجنا من بلدنا سنة شمسیة وطوال رحلتنا لم نقر فی مکان قط ولا وجدنا راحة کاملة وأهل الشام وأطرافها یسمون بیت المقدس القدس ویذهب إلی القدس فی موسم الحج من لا یستطیع الذهاب إلی مکة من أهل هذه الولایات فیتوجه إلی الموقف ویضحی ضحیة العید کما هی العادة ویحضر هناک لتأدیة السنة وفی بعض السنین أکثر من عشرین ألف شخص فی أوائل ذی الحجة ومعهم أبناؤهم کذلک یأتی لزیارة بیت المقدس من دیار الروم کثیر من النصاری والیهود وذلک لزیارة الکنیسة والکنیش هناک وهناک کنیسة عظیمة سیأتی وصفها فی مکانه وسواد ورساتیق بیت المقدس جبلیة کلها والزراعة وأشجار الزیتون والتین وغیرها تنبت کلها بغیر ماء والخیرات بها کثیرة ورخیصة

(۵۵)

مفاتیح البحث: شهر ذی الحجة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، شهر رمضان المبارک (۲)، الشام (۲)، الحج (۱)

صفحه ۰۲۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۶

وفیها أرباب عائلات یملک الواحد منهم خمسین ألف من من زیت الزیتون یحفظونها فی الآبار والأحواض ویصدرونها إلی أطراف العالم ویقال إنه لا یحدث قحط فی بلاد الشام وسمعت من ثقات أن ولیا رأی النبی علیه السلام فی المنام فقال له ساعدنا فی معاشنا یا رسول الله فأجابه النبی علیه السلام علی خبز الشام وزیته والآن أصف مدینة بیت المقدس وصف بیت المقدس هی مدینة مشیدة علی قمة الجبل لیس بها ماء غیر الأمطار ورساتیقها ذات عیون والمدینة محاطة بسور حصین من الحجر والجص وعلیها بوابات حدیدیة ولیس بقربها أشجار قط فإنها علی رأس صخر وهی مدینة کبیر کان بها فی ذلک الوقت عشرون ألف رجل وبها أسواق جمیلة وأبنیة عالیة وکل أرضها مبلطة بالحجارة وقد سووا الجهات الجبلیة والمرتفعات وجعلوها مسطحة بحیث تغسل الأرض کلها وتنظف حین تنزل الأمطار وفی المدینة صناع کثیرون لکل جماعة منهم سوق خاصة والجامع شرقی المدینة وسوره هو سورها الشرقی وبعد الجامع سهل کبیر مستو یسمی الساهرة یقال أنه سیکون ساحة القیامة والحشر ولهذا یحضر إلیه خلق کثیرون من أطراف العالم ویقیمون به

حتى يموتوا فإذا جاء وعـد الله كانوا بأرض الميعاد اللهم عفوك ورحمتك بعبيـدك ذلك اليوم آمين يا رب العالمين وعلى حافة هذا السهل قرافة عظيمة ومقابر كثير من الصالحين يصلى بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضى الله حاجاتهم اللهم تقبل حاجاتنا واغفر ذنوبنا وسيئاتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين وبين الجامع وسـهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين ورأيت قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت

(۵۶)

مفاتيح البحث: الشام (۲)

صفحه ۰۲۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۷

لم أر عجب منها حتى أن الناظر إليها ليسأل نفسه كيف رفعت فى مكانها ويقول العامـة إنها بيت فرعون واسم هذا الوادى وادى جهنم وقـد سألت عمن أطلق هذا اللقب عليه فقيل أن عمر رضـى الله عنه أنزل جيشه أيام خلافته فى سـهل الساهرة هذا فلما رأى الوادى قال هـذا وادى جهنم ويقول العوام إن من يـذهب إلى نهايته يسـمع صياح أهل جهنم فإن الصدى يرتفع من هناك وقد ذهبت فلم أسـمع شيئا وحين يسير السائر من المدينـة جنوبا مسافـة نصف فرسخ وينزل المنحـدر يجد عين ماء تنبع من الصـخر تسـمى عين سـلوان وقد أقيمت عنـدها عمـارات كثيرة ويمر ماء هـذا العين بقريـة شـيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين ويقال إن من يسـتحم من ماء هذه العين يشـفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة وقد وقفوا عليها مالا كثيرا وفى بيت المقدس مستشـفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصـرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذه المستشـفى ومسـجد الجمعة على حافـة المدينـة من الناحيـة الشـرقية وإحـدى حوائط المسـجد على حافة وادى جهنم وحين ينظر السائر من خارج المسـجد يرى الحائط المطـل على هـذا الوادى يرتفع مائـة ذراع من الحجر الكبير الـذى لاـ يفصـله عن بعضه ملاـط أو جص والحوائط داخل المسـجد ذات ارتفاع مستو وقد بنى المسجد فى هذا المكان لوجود الصخرة به وهى الصخرة التى أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة فلما قضـى هذا الأمر واتخذها موسـى قبلة له لم يعمر كثيرا بل عجلت به المنية حتى إذا كانت أيام سليمان عليه السلام وكانت الصخرة قبلة بنى مسـجدا حولها بحيث أصـبحت فى وسـطه وظلت الصـخرة قبلة حتى عهد نبينا المصـطفى عليه الصلاة والسلام فكان المصلون يولون وجوههم شطرها إلى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة وسيأتى وصف ذلك فى مكانه

(۵۷)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۱)، النبى سليمان عليه السلام (۱)، السجود (۵)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۲۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۸

وقـد أردت أن أقيس هـذا المسـجد ولكنى آثرت أن أتقن معرفـة هيـأته ووضـعه أولاـ ثم أقيسه فلبثت فيه زمنا أمعن النظر فرأيت عند الجانب الشـمالى بجوار قبة يعقوب عليه السلام طاقا مكتوبا على حجر منه ان طول هذا المسجد أربع وخمسون وسبعمائة ذراع وعرضه خمس وخمسـون وأربعمائـة ذراع وذلـك بـذراع الملـك المسـمى فى خراسـان كزشايكـان وهو أقـل قليلاـ من ذراع ونصف وأرض المسـجد مغطاة بحجارة موثوقـة إلى بعضـها البعض بالرصاص والمسـجد شـرقى المدينة والسوق فإذا دخله السائر من السوق فإنه يتجه شرقـا فيرى رواقـا عظيمـا جميلا ارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشـرون وللرواق جناحان وواجهتاهما وإيوانه منقوشـة كلها بالفسـيفساء المثبتـة بـالجص على الصورة التى يريـدونها وهى من الدقـة بحيث تبهر النظر ويرى على هـذا الرواق كتابـة منقوشـة بالمينـا وقـد كتب

هناک لقب سلطان مصر فحین تقع الشمس علی هذه النقوش یکون لها من الشعاع ما یحیر الألباب وفوق الرواق قبة کبیرة من الحجر المصقول وله بابان مزخرفان وواجهتاهما من النحاس الدمشقی الذی یلمع حتی لتظن أنهما طلیا بالذهب وقد طعما بالذهب وحلیا بالنقوش الکثیرة وطول کل منهما خمس عشرة ذراعا وعرضه ثمان ویسمیان باب داود علیه السلام وحین یجتاز السائر هذا الباب یجد علی الیمین رواقین کبیرین فی کل منهما تسعة وعشرون عمودا من الرخام تیجانها وقواعدها مزینة بالرخام

(۵۸)

مفاتیح البحث: خراسان (۱)، السجود (۴)

صفحه ۰۲۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۵۹

الملون ووصلاتها مثبتة بالرصاص وعلی تیجان الأعمدة طیقان حجریة وهی مقامة فوق بعضها بغیر ملاط وجص لا یزید عدد حجارة الطاق منها علی أربع أو خمس قطع وهذان الرواقان ممتدان إلی المقصورة ثم یجد علی الیسار وهو ناحیة الشمال رواقا طویلا به أربعة وستون طاقا کلها علی تیجان أعمدة من رخام وعلی هذا الحائط نفسه باب آخر اسمه باب السقر وطول المسجد من الشمال إلی الجنوب وهو ساحة مربعة إذا اقتطعت المقصورة منه والقبلة فی الجنوب وعلی الجانب الشمالی بابان آخران متجاوران عرض کل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنتی عشرة ذراعا ویسمیان باب الأسباط فإذا اجتازه السائر وذهب مع عرض المسجد الذی هو جهة المشرق یجد رواقا أخرا عظیما کبیرا به ثلاثة أبواب متجاورة فی حجم باب الأسباط وکلها مزینة بزخارف من الحدید والنحاس قل ما هو أجمل منها تسمی باب الأبواب لأن للمواضع الأخری بابین وله ثلاثة وبین هذین الرواقین الواقعین علی الجانب الشمالی فی الرواق ذی الطیقان المحملة علی أعمدة الرخام قبة رفعت علی دعائم عالیة وزینت بالقنادیل والمسارج تسمی قبة یعقوب علیه السلام لأنه کان یصلی هناک وفی عرض المسجد رواق فی حائطه باب خارجه صومعتان للصوفیة وهناک مصلیات ومحاریب جمیلة یقیم بها جماعة منهم ویصلون ولا یذهبون للجامع الا یوم الجمعة لأنهم لا یسمعون التکبیر حیث یقیمون وعند الرکن الشمالی للمسجد رواق جمیل وقبة جمیلة لطیفة مکتوب علیها هذا محراب زکریا النبی علیه السلام ویقال انه کان یصلی هناک دائما وعند الحائط الشرقی وسط الجامع رواق عظیم الزخرف من الحجر المصقول حتی تظن انه نحت من قطعة واحدة ارتفاعه خمسون ذراعا

(۵۹)

مفاتیح البحث: السجود (۴)، التکبیر (۱)

صفحه ۰۲۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۰

وعرضه ثلاثون علیه نقوش ونقر وله بابان جمیلان لا یفصلهما أکثر من قدم واحدة وعلیهما زخارف کثیرة من الحدید والنحاس الدمشقی وقد دق علیهما الحلق والمسامیر ویقال ان سلیمان بن داود علیه السلام بنی هذا الرواق لأبیه وحین یدخل السائر هذا الرواق متجها ناحیة الشرق فالأیمن من هذین البابین هو باب الرحمة والأیسر باب التوبة ویقال ان هذا الباب هو الذی قبل الله تعالی عنده توبة داود علیه السلام وعلی هذا الرواق مسجد جمیل کان فی وقت ما دهلیزا فصیروه جامعا وزینوه بأنواع السجاد وله خدم مخصصون ویذهب الیه کثیر من الناس ویصلون فیه ویدعون الله تبارک وتعالی فإنه فی هذا المکان قبل توبة داود وکل انسان هناک یأمل فی التوبة والرجوع عن المعاصی ویقال ان داود علیه السلام لم یکد یطأ عتبة هذا المسجد حتی بشره الوحی بان الله سبحانه تعالی قد قبل توبته فاتخذ هذا المکان مقاما وانصرف إلی العبادة وقد صلیت أنا ناصر فی هذا المقام ودعوت الله تعالی أن یوفقنی لطاعته وأن یغفر

ذنبی الله سبحانه وتعالی یهدی عباده جمیعا لما یرضاه ویغفر لهم ذنوبهم بحق محمد وآله الطاهرین وحین یمضی السائر بحذاء الجدار الشرقی إلی أن یبلغ الزاویة الجنوبیة عند القبلة التی تقع علی الضلع الجنوبی یجد أمام الحائط الشمالی مسجدا بهیئة السرداب ینزل الیه بدرجات کثیرة مساحته عشرون ذراعا فی خمس عشرة وسقفه من الحجر مرفوع علی أعمدة الرخام وبهذا السرداب مهد عیسی علیه السلام وهو من الحجر حجمه کبیر بحیث یصلی علیه الناس وقد صلیت هناک وقد أحکم وضعه فی الأرض حتی لا یتحرک وهو المهد الذی أمضی فیه عیسی طفولته وکلم الناس منه وهو فی المسجد مکان المحراب وفی الجانب الشرقی من هذا المسجد محراب مریم علیها السلام وبه محراب آخر

(۶۰)

مفاتیح البحث: النبی عیسی بن مریم علیهما السلام (۱)، سلیمان بن داود (۱)، الحلق (۱)، السجود (۴)

صفحه ۰۳۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۱

لزکریا علیه السلام وعلی هذین المحرابین آیات القرآن التی نزلت فی حق زکریا ومریم ویقال ان عیسی علیه السلام ولد بهذا المسجد وعلی حجر من عمده نقش إصبعین کأن شخصا أمسکه ویقال ان مریم أمسکته باصبعیها وهی تلد ویعرف هذا المسجد بمهد عیسی علیه السلام وبه قنادیل کثیرة من النحاس والفضة توقد کل مساء حین یخرج السائر من هذا المسجد متبعا الحائط الشرقی یجد عندما یبلغ زاویة المسجد الکبیر مسجدا آخر عظیما جدا أکبر مرتین من مسجد مهد عیسی یسمی المسجد الأقصی وهو الذی أسری الله عز وجل بالمصطفی صلی الله علیه وسلم لیلة المعراج من مکة الیه ومنه صعد إلی السماء کما جاء فی القرآن * (سبحان الذی أسری بعبده لیلا من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصی) * وقد بنوا به أبنیة غایة فی الزخرف وفرش بالسجاد الفاخر ویقوم علیه خدم مخصصون یعملون به دواما وحین یعود السائر إلی الحائط الجنوبی علی مائتی ذراع من تلک الزاویة لا یجد سقفا وهناک ساحة المسجد وأما الجزء المسقوف من المسجد الکبیر والذی به المقصورة فیقع عند الحائطین الجنوبی والغربی وطول هذا الجزء عشرون وأربعمائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع وبه ثمانون ومائتا عمود من الرخام علی تیجانها طیقان من الحجارة وقد نقشت تیجان الأعمدة وهیاکلها وثبتت الوصلات فیها بالرصاص فی منتهی الإحکام وبین کل عمودین ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص والمقصورة فی وسط الحائط الجنوبی وهی کبیرة جدا تتسع لستة عشر عمودا وعلیها

(۶۱)

مفاتیح البحث: النبی عیسی بن مریم علیهما السلام (۲)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، المسجد الأقصی (۲)، مدینة مکة المکرمة (۱)، مسجد الحرام (۱)، القرآن الکریم (۲)، التمسّک (۱)، السجود (۷)

صفحه ۰۳۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۲

قبة عظیمة جدا منقوشة بالمیناء علی نسق ما وصفت وهی مفروشة بالحصیر المغربی وبها قنادیل ومسارج معلقة بالسلاسل ومتباعد بعضها عن بعض وبها محراب کبیر منقوش بالمیناء وعلی جانبیه عمودان من الرخام لونهما کالعقیق الأحمر وإزار المقصورة کله من الرخام الملون وعلی یمینه محراب معاویة وعلی یساره محراب عمر رضی الله عنه وسقف هذا المسجد مغطی بالخشب المنقوش المحلی بالزخارف وعلی باب المقصورة وحائطها المطلان علی الساحة خمسة عشر رواقا علیها أبواب مزخرفة ارتفاع کل منها عشرة أذرع وعرضه ست عشرة من هذه الأبواب تفتح علی الجدار الذی طوله عشرون وأربعمائة ذراع وخمسة منها علی الجدار الذی طوله

خمسون ومائة ذراع وقد زين باب منها غاية الزينة وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب وقد نقش بالفضة وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ويقال انه هو الذى أرسله من بغداد وحين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن أنه ساحة مكشوفة أما حين تعصف الريح وتمطر السماء وتغلق الأبواب فان النور ينبعث للمسجد من الكوات وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق يجلس بجانبها المجاورون كما هو الحال فى المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى وخارج هذا الحرم عند الحائط الكبير الذى مر ذكره رواق به اثنان وأربعون طاقا وكل أعمدته من الرخام الملون وهذا الرواق متصل بالرواق المغربى وتحت الأرض فى الحرم المسقوف حوض جعل بحيث يكون فى مستوى

(۶۲)

مفاتيح البحث: دولة العراق (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، مدينة بغداد (۱)، مسجد الحرام (۱)، الشام (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)، السجود (۳)

صفحه ۰۳۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۳

الأرض حين يغطى وقد بنى لتجمع فيه مياه المطر وعلى الحائط الجنوبى باب يؤدى إلى ميضأة يذهب إليها من يحتاج إلى الوضوء فيجدده وذلك لأنه لا يلحق الصلاة إذا هو خرج من المسجد ليتوضأ إذ ان أكبر المسجد يفوت عليه الصلاة إذا اجتازه وكل الأسقف ملبسة بالرصاص وقد حفرت فى ارض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة فان المسجد مشيد كله على صخرة فمهما يهطل من المطر لا يذهب خارج الأحواض ولا يضيع سدى بل ينصرف إلى الأحواض وينتفع به الناس وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب فى الصهاريج بواسطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن وقد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجا كبيرا تنحدر اليه المياه من الجبل وتتجمع فيه وقد أوصلوه بقناة إلى مسجد المدينة حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة وفى المنازل كلها أحواض لجمع ماء المطر إذ لا يوجد غيره هناك ويجمع كل انسان ما على سطح بيته من مياه فان ماء المطر هو الذى يستعمل فى الحمامات وغيرها والأحواض التى بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبدا لأنها من الحجر الصلب فإذا حدث بها شق أو ثقب أحكم إصلاحه حتى لا تتخرب ويقال ان سليمان عليه السلام هو الذى عمل هذه الأحواض وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شىء وماء هذه المدينة أعذب وأنقى من أى ماء آخر وتستمر الميازيب فى قطر المياه يومين أو ثلاثة ولو كان المطر قليلا إلى أن يصفو الجو وتزول آثاره السيئة وحينئذ يبدأ المطر قلت إن مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل وان أرضها غير مستوية أما المسجد فأرضه مستوية فخارج المسجد حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه إذ يكون أساسه فى أرض واطئة وحيثما تكون الأرض مرتفعة

(۶۳)

مفاتيح البحث: النبى سليمان عليه السلام (۱)، السجود (۸)، الصّلاة (۲)، الوضوء (۱)

صفحه ۰۳۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۴

يقصر الجدار وفى الجهات الواطئة من أحياء المدينة فتحوا فى المسجد أبوابا كأنها نقب تؤدى لساحته ومن هذه الأبواب باب يسمى باب النبى عليه الصلاة والسلام وهو بجانب القبلة اى فى الجنوب وقد عمل بحيث يكون عرضه عشرة أذرع وأما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان فهو فى مكان خمس أذرع اى علو سقف هذا الممر وفى مكان آخر عشرون والجزء المسقوف من المسجد الأقصى

مشید فوق هذا الممر وهو محکم بحیث یحتمل أن یقام فوقه بناء بهذه العظمة من غیر أن یؤثر فیه قط وقد استخدمت فی بنائه حجارة لا یصدق العقل کیف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها ویقال إن سلیمان بن داود علیه السلام هو الذی بناه وقد دخل فیه نبینا علیه الصلوات والسلام إلی المسجد لیلة المعراج وهذا الباب علی جانب طریق مکة وعلی الحائط بقرب هذا الباب نقش دقیق لمجن کبیر یقال إن حمزة بن عبد المطلب عم النبی علیه السلام کان جالسا هناک وعلی کتفه المجن وظهره مسند إلی الحائط وأن هذا نقش مجنه وعند بوابة المسجد حدیث هذا الممر الذی علیه باب ذو مصراعین یبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما یقرب من خمسین ذراعا وقد قصد بهذا الباب أن یدخل منه سکان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد فلا یلجأون إلی الذهاب لمحلة أخری حین یریدون دخوله وعلی الحائط الذی یقع یمین الباب حجر ارتفاعه خمس عشرة ذراعا وعرضه أربع أذرع فلیس فی المسجد حجر أکبر منه وفی الحائط علی ارتفاع ثلاثین أو أربعین ذراعا من الأرض کثیر من الحجارة التی تبلغ حجمها أربع أذرع أو خمس وفی عرض المسجد باب شرقی یسمی باب العین إذا خرجوا منه نزلوا منحدرا فیه عین سلوان وهناک أیضا باب تحت الأرض یسمی الحطة یقال إنه هو الباب الذی أمر الله عز وجل بنی إسرائیل ان یدخلوا منه إلی المسجد قوله تعالی * (وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لکم خطایاکم وسنزید المحسنین) *

(۶۴)

مفاتیح البحث: حمزة بن عبد المطلب سید الشهداء علیه السلام (۱)، المسجد الأقصی (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، سلیمان بن داود (۱)، السجود (۷)، الصّلاة (۲)

صفحه ۰۳۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۵

وهناک باب آخر یسمونه باب السکینة فی دهلیزه مسجد به محاریب کثیرة باب أولها مغلق حتی لا یلجه أحد ویقال ان هناک تابوت السکینة الذی ذکره الله تبارک وتعالی فی القرآن والذی حمله الملائکة وأبواب بیت المقدس ما تحت الأرض وما فوقها تسعة أبواب کما ذکرت وصف الدکة التی بوسط ساحة المسجد والصخرة التی کانت قبلة الإسلام أقیمت هذه الدکة فی وسط المساحة لأنه لم یتیسر نقل الصخرة إلی الجزء المسقوف من المسجد لعلوها وهی تظل مساحة من الأرض مقدارها ثلاثون وثلاثمائة ذراع فی ثلاثمائة وارتفاعها اثنتی عشرة ذراعا وصحنها مستو ومزخرف بالرخام الملبس بوصلات الرصاص وعلی جوانبها الأربعة ألواح الرخام کما یعمل فی المقابر وهی مبینة بحیث لا یستطیع أحد الصعود علیها من غیر المراقی المخصصة لهذا الأمر ویشرف من یصعد علیها علی سقف الجامع وقد حفر فی أرضها فی الوسط حوض یصب فیه میاه المطر بواسطة قنوات أعدت لذلک وماء هذا الحوض أنقی وأعذب من کل ماء فی الجامع وعلی هذه الدکة أربع قباب أکبرها قبة الصخرة التی کانت القبلة وصف قبة الصخرة بنی المسجد بحیث تکون الدکة فی وسط الساحة وقبة الصخرة فی وسط الدکة والصخرة وسط القبة وقبة الصخرة بیت مثمن منظم کل ضلع من

(۶۵)

مفاتیح البحث: القرآن الکریم (۱)، السجود (۴)

صفحه ۰۳۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۶

أضلاعه الثمانیة ثلاث وثلاثون ذراعا وله أربعة أبواب علی الجهات الأربع الأصلیة باب شرقی وآخر غربی وثالث شمالی ورابع جنوبی وبین کل بابین ضلع وجمیع الحوائط من الحجر المنحوت وارتفاعها عشرون ذراعا ومحیط الصخرة مائة ذراع وهی غیر منتظمة الشکل

لا هی مدورة ولا مربعة ولکنها حجر غیر منتظم کحجارة الجبل وقد بنوا علی جوانب الصخرة الأربعة أربعة دعائم مربعة بارتفاع حائط البیت المذکور وبین کل دعامتین علی الجوانب الأربعة عمودان اسطوانیان من الرخام بنفس الارتفاع وعلی قمة تلک الدعائم وهذه الأعمدة الاثنی عشر بنوا القبة التی تحتها الصخرة والتی یبلغ محیطها مائة وعشرین ذراعا وبین حائط هذا البناء والدعائم والأعمدة أسمی المربعة المبنیة ستون دعامة والمنحوتة المستدیرة التی من حجر واحد أسطوانة عمودا ثمان دعائم أخری مبنیة من الحجارة المنحوتة وبین کل اثنتین منهما ثلاثة أعمدة من الرخام الملون علی أبعاد متساویة بحیث یکون فی الصف الأول عمودان بین کل دعامتین ویکون هنا ثلاثة أعمدة بین کل دعامتین وعلی تاج کل دعامة أربعة عقود علی کل عقد طاق وعلی کل عمود عقدان فوق کل منها طاق وهکذا یکون علی العمود متکأ لطاقین وعلی الدعامة متکأ لأربعة فکانت هذه القبة العظیمة فی ذلک الوقت مرتکزة علی هذه الدعامات الاثنتی عشرة المحیطة بالصخرة فتراها علی بعد فرسخ کأنها قمة جبل لأنها من أساسها إلی قمتها ثلاثون ذراعا وهی تستند إلی أعمدة ودعامات ارتفاعها عشرون ذراعا وقبة الصخرة مشیدة علی بیت ارتفاعه اثنتا عشرة ذراعا وإذا فمن ساحة المسجد إلی رأس القبة اثنتان وستون ذراعا وسقوف هذه الدکة وقبابها مکسوة بالنجارة وکذلک الدعائم والعمد

(۶۶)

مفاتیح البحث: السجود (۱)

صفحه ۰۳۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۷

والحوائط وذلک بدقة قل نظیرها والصخرة أعلی من الأرض بمقدار قامة رجل وقد أحیطت بسیاج من الرخام حتی لا تصل ید أليها والصخرة حجر أزرق لونه لم یطأها أحد برجله أبدا وفی ناحیتها المواجهة للقبلة انخفاض کأن أنسانا سار علیها فبدت آثار قدمه فیها کما تبدو علی الطین الطری فان آثار أصابع قدمیه باقیة علیها وقد بقیت علیها آثار سبع أقدام وسمعت أن إبراهیم علیه السلام کان هناک وکان إسماعیل طفلا فمشی علیها وهذه هی آثار قدمه ویقیم فی بیت الصخرة هذا جماعة من المجاورین والعابدین وقد زینت أرضه بالسجاد الجمیل من الحریر وغیره وفی وسطه قندیل من الفضة معلق بسلسلة فضیة فوق الصخرة وهناک قنادیل کثیرة من فضة کتب علیها وزنها أمر بصنعها سلطان مصر وقد قدرت ما هناک من الفضة بألف من ورأیت هناک أیضا شمعة کبیرة جدا طولها سبع أذرع وقطرها ثلاثة أشبار لونها کالکافور الزباجی وشمعها مخلوط بالعنبر ویقال ان سلطان مصر یرسل هناک کل سنة کثیرا من الشمع منه هذه الشمعة الکبیرة ویکتب علیها اسمه بالذهب وهذا المسجد هو ثالث بیوت الله سبحانه وتعالی والمعروف عند علماء الدین ان کل صلاة فی بیت المقدس تساوی خمسة وعشرین ألف صلاة وکل صلاة فی مدینة الرسول علیه الصلاة والسلام تعد بخمسین ألف صلاة وان صلاة مکة المعظمة شرفها الله تعالی تساوی مائة ألف صلاة وفق الله عز وجل عباده جمیعا لهذا الثواب وقد قلت إن أسقف وظهور القباب ملبسة بالرصاص وعلی جوانب البیت الأربعة أبواب کبیرة مصاریعها من خشب الساج وهی مقفلة دائما وبعد قبة الصخرة قبة تسمی قبة السلسلة وهی السلسلة التی علقها داود علیه السلام والتی لا تصل إلیها إلا ید صاحب الحق أما ید الظالم والغاصب فلا تبلغها وهذا المعنی مشهور عند العلماء وهذه القبة محمولة علی رأس ثمانیة أعمدة من الرخام وست دعائم من الحجر وهی مفتوحة من جمیع الجوانب عدا جانب

(۶۷)

مفاتیح البحث: النبی إبراهیم (ع) (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، الظلم (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۷)

صفحه ۰۳۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۸

القبلة فهو مسدود حتى نهايته وقد نصب عليه محراب جميل وعلى هذه الدكة أيضا قبة أخرى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام وهى مغلقة من ناحية القبلة أيضا حيث بنى محراب جميل وتسمى هذه القبة قبة جبريل عليه السلام وليس فيها فرش بل إن أرضها من حجر سووه ويقال ان هناك أعد البراق ليركبه النبى عليه السلام ليلة المعراج وبعد قبة جبريل قبة أخرى يقال لها قبة الرسول عليه الصلاة والسلام وبينهما عشرون ذراعا وهى مقامة على أربع دعائم من الرخام أيضا ويقال ان الرسول عليه الصلاة والسلام صلى ليلة المعراج فى قبة الصخرة أولا ثم وضع يده على الصخرة فلما خرج وقفت لجلاله فوضع الرسول عليه الصلاة السلام يده عليها لتعود إلى مكانها وتستقر وهى بعد نصف معلقة وقد ذهب الرسول عليه السلام من هناك إلى القبة التى تنتسب إليه وركب البراق وهذا سبب تعظيمها وتحت الصخرة غار كبير يضاء دائما بالشمع ويقال انه حين قامت الصخرة خلا ما تحتها فلما استقرت بقى هذا الجزء كما كان وصف المراقى المؤدية إلى الدكة التى بساحة الجامع يسار إلى هذه الدكة من ستة مواضع لكل منها اسم فبجانب القبلة طريقان يصعد فيهما على درجات فإذا وقفت فى وسط ضلع الدكة وجدت أحدهما على اليمين والثانى على اليسار والذى على اليمين يسمى مقام النبى عليه السلام والذى على اليسار يسمى مقام الغورى وسمى الأول مقام النبى لأن النبى عليه الصلاة والسلام صعد على درجاته إلى الدكة ليلة المعراج ودخل إلى قبة الصخرة ويقع طريق الحجاز على هذا الجانب وعرض درجاته اليوم عشرون ذراعا وهى من الحجر المنحوت المنتظم وكل درجة قطعة أو

(۶۸)

مفاتيح البحث: الصّلاة (۴)

صفحه ۰۳۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۶۹

قطعتان من الحجر المربع وهى معدة بحيث يستطيع الزائر الصعود عليها راكبا وعلى قمة هذه الدرجات أربعة أعمدة من الرخام الأخضر الذى يشبه الزمرد لولا أن به نقطا كثيرة من كل لون ويبلغ ارتفاع كل عمود منها عشرة اذرع وقطره بقدر ما يحتضن رجلان وعلى رأس هذه الأعمدة الأربعة ثلاثة طيقان أحدها مقابل للباب والآخران على جانبيه وسطح الطيقان أفقى من فوقه شرفات بحيث يبدو مربعا وهذه العمد والطيقان منقوشة كلها بالذهب وبالمينا ليس أجمل منها ودرابزين الدكة كله من الرخام الأخضر المنقط حتى لتقول ان عليه روضة ورد ناضر وقد أعد مقام الغورى بحيث تكون ثلاثة سلالم على موضع واحد أحدها محاذ للدكة والآخران على جانبيها حتى يستطاع الصعود من ثلاثة أماكن ومن فوق هذه السلالم الثلاثة أعمدة عليها طريقان وشرفة والدرجات بالوصف الذى ذكرت من الحجر المنحوت كل درجة قطعتان أو ثلاث من الحجر المستطيل وكتب بخط جميل بالذهب على ظاهر الإيوان أمر به الأمير ليث الدولة نوشتكين الغورى ويقال انه كان تابعا لسلطان مصر وهو الذى أنشأ هذه الطرق والمراقى وعلى الجانب الغربى للدكة سلمان فى ناحيتين منها وهناك طريق عظيم مشابه لما ذكرت وكذلك فى الجانب الشرقى طريق عظيم مماثل عليه أعمدة فوقها طيقان وشرفة يسمى المقام الشرقى وعلى الجانب الشمالى طريق أكثر علوا وأكبر منها كلها به أعمدة فوقها طيقان يسمى المقام الشامى وأظن أنهم صرفوا على هذه الطرق الستة مائة ألف دينار

(۶۹)

صفحه ۰۳۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۰

وفی الجانب الشمالی لساحة المسجد لا علی الدکة بناء به کأنه مسجد صغیر یشبه الحظیرة وهو من الحجر المنحوت یزید ارتفاع حوائطه علی قامة رجل ویسمی محراب داود وبالقرب منه حجر غیر مستو یبلغ قامة رجل وقمته تتیح وضع حصیرة صلاة صغیرة علیها ویقال انه کرسی سلیمان علیه السلام الذی کان یجلس علیه أثناء بنا المسجد هذا ما رأیت فی جامع بیت المقدس قد صورته وضممته إلی مذکراتی ومن النوادر التی رأیتها فی بیت المقدس شجرة الحور بعد الفراغ من زیارة بیت المقدس عزمت علی زیارة مشهد إبراهیم خلیل الرحمن علیه الصلاة والسلام فی یوم الأربعاء غرة ذی القعدة سنة ۴۳۸ (۲۰ ابریل سنة ۱۰۴۷) والمسافة بینهما ستة فراسخ عن طریق جنوبی به قری کثیرة وزرع وحدائق وشجر بری لا یحصی من عنب وتین وزیتون وسماق وعلی فرسخین من بیت المقدس أربع قری بها عین وحدائق وبساتین کثیرة تسمی الفرادیس لجمال موقعها وعلی فرسخ واحد من بیت المقدس مکان للنصاری یعظمونه کثیرا یقیم بجانبه مجاورون دائما ویحج الیه کثیرون اسمه بیت اللحم وهناک یقدم النصاری القرابین ویقصده الحجاج من بلاد الروم وقد بلغته مساء الیوم الذی قمت فیه من بیت المقدس وصف قبر الخلیل صلوات الله علیه یسمی أهل الشام وبیت المقدس هذا المشهد الخلیل ولا یذکرون

(۷۰)

مفاتیح البحث: النبی سلیمان علیه السلام (۱)، شهر ذی القعدة (۱)، الشام (۱)، الشهادة (۲)، القبر (۱)، الصّلاة (۳)، السجود (۲)، الزیارة (۲)، الحج (۱)

صفحه ۴۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۱

اسم القریة التی هو فیها قریة مطلون وهی موقوفة علیه مع قری کثیرة وفی هذه القریة عین ماء تخرج من الصخر یتفجر ماؤها رویدا رویدا وهو ینقل من مسافة بعیدة بواسطة قناة إلی خارج القریة حیث بنی حوض مغطی یصب فیه الماء فلا یذهب هباء حتی یفی بحاجة أهل القریة وغیرهم من الزائرین والمشهد علی حافة القریة من ناحیة الجنوب وهی فی الجنوب الشرقی والمشهد یتکون من بناء ذی أربع حوائط من الحجر المصقول طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون وارتفاعه عشرون وثخانة حوائطه ذراعان وبه مقصورة ومحراب فی عرض البناء وبالمقصورة محاریب جمیلة بها قبران رأسهما للقبلة وکلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل الأیمن قبر إسحاق بن إبراهیم والآخر قبر زوجه علیها السلام وبینهما عشرة أذرع وأرض هذا المشهد وجدرانه مزینة بالسجاجید القیمة والحصر المغربیة التی تفوق الدیباج حسنا وقد رأیت هناک حصیر صلاة قیل أرسلها أمیر الجیوش وهو تابع لسلطان مصر وقد اشتریت من مصر بثلاثین دینارا من الذهب المغربی ولو کانت من الدیباج الرومی لما بلغت هذا الثمن ولم ار مثلها فی مکان قط

(۷۱)

مفاتیح البحث: إسحاق بن إبراهیم (۱)، القبر (۲)، الشهادة (۲)، الصّلاة (۱)

صفحه ۴۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۲

حین یخرج السائر من المقصورة إلی وسط ساحة المشهد یجد مشهدین أمام القبلة الأیمن به قبر إبراهیم الخلیل صلوات الله علیه وهو مشهد کبیر ومن داخله مشهد آخر لا یستطاع الطواف حوله ولکن له أربع نوافذ یری منها فیراه الزائرون وهو یطوفون حول المشهد الکبیر وقد کسیت أرضه وجدرانه ببسط من الدیباج والقبر من الحجر ارتفاعه ثلاث أذرع وعلق به کثیر من القنادیل والمصابیح الفضیة والمشهد الثانی الذی علی یسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهیم علیه السلام وبین القبرین ممر علیه باباهما وهو کالدهلیز وبه

کثیر من القنادیل والمسارج وبعد هذین المشهدین قبران متجاوران الأیمن قبر النبی یعقوب علیه السلام والأیسر قبر زوجه وبعدهما المنازل التی اتخذها إبراهیم للضیافة وبها ستة قبور وخارج الجدران الأربعة منحدر به قبر یوسف بن یعقوب علیه السلام وهو من حجر وعلیه قبة جمیلة وعلی جانب الصحراء بین قبر یوسف

(۷۲)

مفاتیح البحث: النبی إبراهیم (ع) (۲)، یوسف بن یعقوب (۱)، الشهادة (۵)، القبر (۶)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۰۴۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۳

ومشهد الخلیل علیهما السلام قرافة کبیرة یدفن بها الموتی من جهات عدیدة وعلی سطح المقصورة التی فی المشهد حجرات للضیوف الوافدین وقد وقف علیها أوقاف کثیرة من القری ومستغلات بیت المقدس وأغلب الزراعة هناک الشعیر والقمح قلیل والزیتون کثیر ویعطون الضیوف والمسافرین والزائرین الخبز والزیتون وهناک طواحین کثیرة تدیرها البغال والثیران لطحن الدقیق وبالمضیفة خادمات یخبزن طول الیوم ویزن رغیفهم منا واحدا ویعطی من یصل هناک رغیفا مستدیرا وطبقا من العدس المطبوخ بالزیت وزبیبا کل یوم وهذه عادة بقیت من أیام خلیل الرحمن علیه السلام حتی الساعة وفی بعض الأیام یبلغ عدد المسافرین خمسمائة فتهیأ الضیافة لهم جمیعا ویقال انه لم یکن لهذا المشهد باب وکان دخوله مستحیلا بل کان الناس یزورونه من الإیوان فی الخارج فلما جلس المهدی علی عرش مصر

(۷۳)

مفاتیح البحث: الموت (۱)، الشهادة (۳)، الدفن (۱)

صفحه ۰۴۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۴

أمر بفتح باب فیه وزینه وفرشه بالسجاجید وأدخل علی عمارته اصلاحا کثیرا وباب المشهد وسط الحائط الشمالی علی ارتفاع أربع أذرع فوق الأرض وعلی جانبیه درجات من الحجر فیصعد الیه من جانب ویکون النزول من الجانب الثانی ووضع هناک باب صغیر من الحدید ثم رجعت إلی بیت المقدس ومن هناک سرت ماشیا مع جماعة تقصد الحجاز وکان دلیلنا رجلا اسمه أبو بکر الهمدانی وهو رجل جلد یقدر علی المشی وجهه جمیل غادرت بیت المقدس فی منتصف ذی القعدة سنة ۴۳۷ (أول مایو ۱۰۴۷) وبعد ثلاثة أیام بلغت جهة تسمی أعز القری بها ماء جار وأشجار ثم بلغنا منزلا آخر یسمی وادی القری ومن بعده نزلنا مکانا ثالثا ثم بلغنا مکة بعد عشرة أیام لم تحضر لمکة قافلة من ای بلد فی هذه السنة وشح الطعام وقد نزلت فی سکة العطارین أمام باب النبی علیه السلام وفی یوم الاثنین طلعت عرفات وکان الناس مملوئین رعبا من العرب ولما عدت من عرفات لبثت بمکة یومین ثم رجعت إلی بیت المقدس عن طریق الشام وبلغنا المقدس فی الخامس من المحرم سنة ۳۳۹ (۷ یولیو ۱۰۳۷) ولا أذکر هنا وصف مکة والحج سأذکر ذلک عند الکلام علی الحجة الأخیرة کنیسة بیعة القیامة وللنصاری فی بیت المقدس کنیسة یسمونها بیعة القمامة لها عندهم مکانة عظیمة ویحج إلیها کل سنة کثیر من بلاد الروم ویزورها ملک الروم متخفیا حتی لا یعرفه الناس وقد زارها أیام عزیز مصر الحاکم بأمر الله

(۷۴)

مفاتیح البحث: شهر ذی القعدة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۴)، الشام (۱)، العزّة (۱)، الطعام (۱)، الحج (۲)، الشهادة (۱)

صفحه ۰۴۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۵

فبلغ ذلک الحاکم فأرسل الیه أحد حراسه بعد أن عرفه أن رجلا بهذه الحلیة والصورة یجلس فی کنیسة بیت المقدس وقال له اذهب عنده وقل له ان الحاکم أرسلنی إلیک ویقول لا تحسبنی أجهل أمرک ولکن کن آمنا فلن أقصدک بسوء وقد أمر الحاکم هذا بالإغارة علی الکنیسة فهدمها وخربها وظلت خربة مدة من الزمان وبعد ذلک بعث القیصر الیه رسلا وقدم کثیرا من الهدایا والخدمات وطلب الصلح والشفاعة لیؤذن له بإصلاح الکنیسة فقبل الحاکم وأعید تعمیرها وهذه الکنیسة فسیحة تسع ثمانیة آلاف رجل وهی عظیمة الزخرف من الرخام الملون والنقوش والصور وهی مزدانة من الداخل بالدیباج الرومی والصور وزینت بطلاء من الذهب وفی أماکن کثیرة منها صورة عیسی علیه السلام راکبا حمارا وصور الأنبیاء الآخرین مثل إبراهیم وإسحق ویعقوب وأبنائهم علیهم السلام وهذه الصور مطلیة بزیت السندروس وقد غطی سطح کل صورة بلوح من الزجاج الشفاف علی قدها بحیث لا یحجب منها شیء وذلک حتی لا یصل الغبار إلیها وینظف الخدم هذا الزجاج کل یوم وهناک عدا ذلک عدة مواضع أخری کلها مزینة ولو وصفتها لطالت کتابتی وفی هذه الکنیسة لوحة مقسمة إلی قسمین وعملا لوصف الجنة والنار فنصف یصف الجنة وأهلها ونصف یصف النار وأهلها ومن

(۷۵)

مفاتیح البحث: النبی عیسی بن مریم علیهما السلام (۱)، صلح (یوم) الحدیبیة (۱)، یوم عرفة (۱)

صفحه ۰۴۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۶

یبقی فیها ولیس لهذه الکنیسة نظیر فی ای جهة من العالم ویقیم بها کثیر من القس والرهبان یقرأون الإنجیل ویصلون ویشتغلون بالعبادة لیل نهار وصف مصر ثم عزمت لی ان أغادر بیت المقدس إلی مصر بطریق البحر ثم أغادرها إلی مکة ولکن کانت الریح معاکسة وتعذر السفر بالبحر فسرنا عن طریق البر ومررنا بالرملة ثم بلغنا مدینة عسقلان بها سوق وجامع جمیل رأیت بها طاقا قدیما قیل إنه کان مسجدا وهو طاق من الحجر الکبیر ولو أرادوا هدمه للزمهم إنفاق مال کثیر وخرجت من هناک فوجدت فی الطریق قری کثیرة ومدنا یطول وصفها فحذفته اختصارا وبلغنا مکانا یسمی طینة وهو مرفأ للسفن یذهب منه إلی تنیس وقد رکبت السفینة إلیها تنیس جزیرة ومدینة جمیلة وهی بعیدة عن الساحل بحیث لا یری من أسطحها والمدینة مزدحمة وبها أسواق فخمة وجامعان وقد یبلغ عدد الدکاکین بها عشرة آلاف دکان منها مائة دکان عطار وهناک فی فصل الصیف یبیعون الکشکاب فان الجو حار وتکثر الأمراض فی المدینة

(۷۶)

مفاتیح البحث: مدینة مکة المکرمة (۱)، السفینة (۱)

صفحه ۰۴۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۷

وینسج بتنیس القصب الملون من عمامات ووقایات ومما یلبس النساء ولا ینسج مثل هذا القصب فی جهة ما غیر تنیس والأبیض منه

ينسج فى دمياط وما ينسج منه فى مصانع السلطان لا يباع ولا يعطى لأحد وقد سمعت ان ملك فارس أرسل رسله إلى تنيس بعشرين ألف دينار ليشترى له بها حلة من كسوة السلطان وقد بقى رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها وبتنيس صناع مختصون بنسيج ملابس السلطان وقد سمعت أن عاملا نسج عمامة السلطان فأمر به بخمسمائة دينار ذهب مغربى وقد رأيت هذه العمامة ويقال انها تساوى أربعة آلاف دينار مغربى وينسجون فى مدينة تنيس هذه البوقلمون الذى لا ينسج فى مكان آخر من جميع العالم وهو قماش ذهبى يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب وسمعت ان سلطان الروم كان قد أوفد رسولا ليعرض على سلطان مصر أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذ تنيس فلم يقبل السلطان وكان قصده من هذه المدينة القصب والبوقلمون (۷۷)

مفاتيح البحث: اللبس (۱)

صفحه ۰۴۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۸

حينما يزيد ماء النيل يبعد الماء الملح من حول تنيس بحيث يصبح ماء البحر عذبا حتى عشرة فراسخ حولها وقد بنوا بجزيرة تنيس ومدينتها صهاريج عظيمة تحت الأرض وهى قوية البنيان وتسمى المصانع فحين يغلب ماء النيل ويطرد الماء الملح من هناك تملأ هذه الأحواض حين يفتحون له الطريق وماء هذه المدينة من تلك المصانع التى تمتلئ وقت زيادة النيل ويستعمل السكان هذا الماء حتى السنة التالية وكل من لديه ماء فوق حاجته يبيع الفائض لغيره وبتنيس مصانع كثيرة موقوفة يعطى ماؤها للغرباء وسكانها خمسون ألفا (۷۸)

مفاتيح البحث: البيع (۱)

صفحه ۰۴۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۷۹

ويرابط حولها دائما ألف سفينة منها ما هو للتجار وكثير منها للسلطان ويجلب لهذه الجزيرة كل ما تحتاج اليه إذ ليس بها من خيرات الأرض شىء وتجرى المعاملات فيها بالسفن لأنها جزيرة ويقيم بتنيس جيش كامل السلاح احتياطا حتى لا يستطيع أحد من الفرنج أو الروم أن يغير عليها وسمعت من الثقات أنه يصل منها لخزانة سلطان مصر يوميا ألف دينار مغربى ويصل ذلك المقدار مرة واحدة يحصله شخص واحد يسلمه أهل المدينة اليه فى وقت معين وهو يسلم للخزانة فلا يتأخر منه شىء ولا يجبى شىء بالعنف من اى شخص وما ينسج للسلطان من القصب والبوقلمون يدفع ثمنه كاملا بحيث يعمل الصناع برضاهم للسلطان لا كما فى البلاد الأخرى حيث يفرض الديوان والسلطان السخرة على الصناع وتصنع أستار هوداج الجمال ولبود سروج الخيل الخاصة بالسلطان من البوقلمون (۷۹)

مفاتيح البحث: كتاب الثقات لابن حبان (۱)، السفينة (۱)

صفحه ۰۴۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۰

ويؤتى بالفاكهة والأغذية لتنيس من قرى مصر ويصنعون بها آلات الحديد كالمقراض والسكين وغيرهما وقد رأيت مقراضا فى مصر صنع فى تنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح إذا رفع مسماره ويقص إذا انزل وتصيب النساء هناك أحيانا علة كالصرع فيصحن مرتين

أو ثلاثا ثم يعدن بعد ذلك إلى صوابهن وكنت سمعت فى خراسان عن جزيرة تموء فيها النساء كالقطط وذلك على النحو الذى ذكرت وتذهب السفينة من تنيس إلى القسطنطينية فى عشرين يوما وقد سرنا بجانب مصر وحين بلغنا شاطئ البحر سارت السفينة فى النيل حين يقترب نهر النيل من البحر يصير فروعا تصب متفرقة فيه ويسمى الفرع الذى سرنا فيه فرع الروم سارت السفينة حتى بلغنا مدينة تسمى الصالحية وهى مدينة كثيرة النعم والخيرات وتصنع بها سفن كثيرة حمولة كل منهما مائتا خروار وهى تنقل البضاعة إلى مدينة مصر حتى أبواب دكاكين البقالين ولو لم تكن وسائل النقل كذلك لتعذر نقل المؤن فيها على ظهور الدواب لكثرة الزحام الذى بها وقد نزلت من السفينة إلى الصالحية ثم بلغت قرب القاهرة تلك الليلة وفى يوم الأحد السابع من صفر سنة ۴۳۹ (۴ أغسطس ۱۰۴۷) وهو يوم هرمزد من شهر يور القديم كنا فى القاهرة وصف مصر وولايتها يخرج ماء النيل من بين الجنوب والغرب ويمر بمصر ثم يصب فى بحر الروم ويبلغ نهر النيل فى زيادته ضعف نهر جيحون عند ترمذ ويمر النيل بولاية النوبة ثم يجىء إلى مصر والنوبة ولاية جبلية وحين يصل النيل إلى الوادى فهناك ولاية مصر وأول مدينة يصل إليها على الحدود تسمى أسوان

(۸۰)

مفاتيح البحث: خراسان (۱)، السفينة (۴)

صفحه ۵۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۱

والمسافة من مصر إليها ثلاثمائة فرسخ وتقع المدن والولايات كلها على شاطئ النيل وتسمى هذه الولاية أسوان بالصعيد الأعلى ولا تستطيع السفن عبور النيل حين تصل لأسوان لأن الماء يخرج هناك من شلالات فيندفع سريعا وولاية النوبة جنوبى أسوان ولها ملك خاص وسكانها سود البشرة ودينهم النصرانية ويذهب اليه التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق والرقيق فى مصر إما نوبيون وإما روم وقد رأيت قمحا وذرة من النوبة كلاهما أسود ويقال ان حقيقة منابع النيل لم تعرف وسمعت ان سلطان مصر ارسل بعثة لتتبع شاطئ النيل سنة كاملة ودرسه ولكن أحدا لم يعرف حقيقة منبعه ويقال انه يأتى من جبل فى الجنوب يسمى جبل القمر حين تبلغ الشمس مدار السرطان يزداد النيل فيرتفع عشرين ذراعا عما كان مستقرا عليه فى الشتاء وهكذا يتزايد يوما بعد يوم وقد أعدوا له فى مصر مقاييس وعلامات ورتبوا عاملا وظيفته ألف دينار للمحافظة عليها ولتسجيل الزيادة ومنذ أول يوم للفيضان يطوف منادون فى المدينة منادين بأن الله تعالى قد زاد النيل كذا أصبعا ويذكرون مقدار زيادته كل يوم وحين تبلغ الزيادة ذراعا كاملا تضرب البشائر ويفرح الناس حتى تبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وهى الزيادة المعهودة يعنى أنه كلما قلت الزيادة عن ذلك قيل إن النيل ناقص فتصدقوا ونذروا النذور وعلاهم الغم فإذا زاد عن هذا القدر فرحوا وأظهروا الغبطة وما لم يصل الارتفاع إلى ثمانية

(۸۱)

مفاتيح البحث: الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، البعث، الإنبعاث (۱)

صفحه ۵۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۲

عشر ذراعا لا يأخذ السلطان الخراج ويتفرع من النيل فروع كثيرة تسير فى الأطراف كما يتفرغ منها ترع صغيرة وعليها تقع الولايات والقرى وأقيمت بمصر سواق كثيرة يصعب حصرها أو قياسها وشيدت قرى مصر كلها على المرتفعات والتلول وذلك حتى لا تغرق فان الماء يغمر البلاد كلها وقت الفيضان وحينئذ يسيرون من قرية لأخرى بالزوارق وقد أنشأوا على الشاطئ من أول الولاية لأخرها جسرا من الطين ليسير عليه

(۸۲)

صفحه ۰۵۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۳

الناس أی بجانب النیل وتصرف خزینة السلطان کل سنة للعامل المعتمد عشرة آلاف دینار مغربی لتجدید عمارته ویجهز أهل الولایة حاجاتهم الضروریة کلها لهذه الأشهر الأربعة التی تکون بلادهم أثناءها مغمورة بالماء ویخبز کل شخص فی الریف ما یکفیه من الخبز هذه المدة ویقدده حتی لا یتعفن ونظام الفیضان هو الآتی یتزاید الماء أربعین یوما من بدء الفیضان إلی أن یبلغ ثمانیة عشر ذراعا ویبقی علی هذا أربعین یوما لا یزید ولا ینقص ثم یتدرج نحو النقصان مدة أربعین یوما أخری حتی یصل إلی الحد الذی کان علیه فی الشتاء وحینما یبدأ الماء فی التناقص یتبعه الزراع فکلما حفت بقعة زرعوها الزرع الذی یریدون وعلی هذا النحو زرعهم الصیفی والشتوی فلا یتطلب ماء آخر قط تقع مصر بین النیل والبحر والنیل یأتی من الجنوب ویتجه شمالا ویصب فی البحر والمسافة من مصر إلی الإسکندریة ثلاثون فرسخا وتقع الإسکندریة علی شاطئ بحر الروم وشاطئ النیل وتصدر منهما بالسفن فاکهة کثیرة لمصر وفی الإسکندریة منارة رأیتها قائمة وأنا هناک وقد کان فوقها حراقة مرآة محرقة فکلما جاءت سفینة رومیة من القسطنطینیة أصابتها نار من هذه الحراقة فأحرقتها وقد بذل الروم کثیرا من الجد والجهد والحیلة فبعثوا شخصا فکسر المرآة وفی عهد الحاکم

(۸۳)

مفاتیح البحث: السفینة (۱)

صفحه ۰۵۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۴

سلطان مصر جاءه شخص وعرض علیه ان یعیدها کما کانت فقال الحاکم لا حاجة إلی ذلک فان الروم یرسلون الینا الآن الذهب والمال کل سنة وهم راضون بأن یذهب جیشنا إلیهم ونحن معهم فی سلام تام وماء الشرب فی الإسکندریة من المطر وصحراؤها مملوء بهذه الأعمدة المبعثرة التی قدمت وصفها ویمتد بحر الإسکندریة حتی القیروان التی یفصلها عن مصر مسافة مائة

(۸۴)

صفحه ۰۵۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۵

وخمسین فرسخا والقیروان ولایة مدینتها الکبری سجلماسة التی تقع علی بعد أربعة فراسخ من البحر وهی مدینة کبیرة فی الصحراء وبها حصن محکم وبجانبها المهدیة التی بناها المهدی أحد أبناء أمیر المؤمنین الحسین بن علی رضی الله تعالی عنهما بعد استیلائه علی المغرب والأندلس وهی فی هذه الأیام تابعة لسلطان مصر ویسقط البرد فی القیروان ولکنه لا یمکث علی أرضها ویتجه البحر شمالا ویسیر ناحیة الیمین إلی الأندلس وبین مصر والأندلس ألف فرسخ وسکانها جمیعا مسلمون وهی ولایة کبیرة جبلیة ینزل فیها البرد ویتجمد سکانها بیض وشعرهم أحمر وأکثرهم کالصقالبة عیونهم کعیون القطط وتقع الأندلس فی نهایة بحر الروم فالبحر شرقی بالنسبة لأهلها وإذا ذهب السائر من الأندلس شمالا جهة الیمین متتبعا الشاطئ فإنه یبلغ بلاد الروم وکثیرا ما یغزون الروم من الأندلس ومن الممکن أن یرکب المسافر البر إلی القسطنطینیة إذا أراد ولکن لا بد من اجتیاز خلجان کثیرة عرض کل منها مائتا فرسخ أو ثلاثمائة فرسخ لا یمکن اجتیازها الا بالسفن والمعابر وقد سمعت من ثقة أن محیط هذا البحر أربعة آلاف فرسخ وأن فرعا منه یدخل

بلاد الظلمات كما يقال وأن نهاية هذا الفرع متجمدة دائما لأن الشمس لا تبلغه ومن جزائر هذا البحر صقلية وتبلغها السفينة من مصر فى عشرين يوما وهناك جزر كثيرة غيرها ويقال ان صقلية ثمانون فرسخا فى ثمانين وهى ملك سلطان مصر وتغادرها كل سنة سفينة تحمل المال إلى مصر ويجلبون منها كتانا رقيقا وثيابا منقوشة يساوى الثوب منها فى مصر عشرة دنانير مغربية وإذا سار السائر من مصر شرقا يبلغ بحر القلزم والقلزم مدينة على شاطئ البحر بينها وبين مصر ثلاثون فرسخا وهذا البحر فرع من محيط يتفرع

(۸۵)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، السفينة (۲)

صفحه ۰۵۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۶

عند عدن ويتجه نحو الشمال فإذا بلغ القلزم انقطع ويقال أن عرضه مائتا فرسخ ويفصله عن مصر جبال وصحراء لا ماء فيها ولا نبات ومن يريد الذهاب إلى مكة من مصر يلزمه الاتجاه نحو الشرق فإذا بلغ القلزم وجد طريقين أحدهما برى والآخر بحرى وهو يبلغ مكة عن الطريق الأول فى خمسة عشر يوما فى صحراء طولها ثلاثمائة فرسخ وتذهب عن هذا الطريق معظم القوافل الآتية من مصر فإذا سار عن طريق البحر يبلغ الجار فى عشرين يوما وهى مدينة صغيرة من الحجاز تقع على شاطئ البحر ومنها إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ومن المدينة إلى مكة مائة فرسخ فإذا جاوز الجار وواصل السير فى البحر بلغ ساحل اليمن ومن هناك إلى ساحل عدن فإذا جاوزه ينتهى إلى الهند وهكذا حتى الصين وإذا سار من عدن إلى الجنوب مائلا نحو الغرب فإنه يذهب إلى زنجبار والحبشة وسأشرح ذلك فى مكانه وإذا سار من مصر إلى الجنوب وجاوز ولاية النوبة بلغ ولاية المصامدة وهى أرض ذات مراع واسعة وفيها دواب كثيرة وسكانها سود كبار العظام غلاظ أقوياء البنية ويكثر الجند منهم فى مصر وهم قباح الصورة ضخام الجثة يسمون المصامدة يحاربون راجلين بالسيف والحربة ولا يستطيعون استعمال غيرها من الآلات وصف مدينة القاهرة أول مدينة يصل إليها المسافر من الشام إلى مصر هى القاهرة وتقع مدينة مصر جنوبها وتسمى القاهرة (المعزية) ويقال للمعسكر (الفسطاط) يروى أن أحد أبناء أمير المؤمنين الحسين بن على صلوات الله عليهن أجمعين

(۸۶)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة مكة المكرمة (۳)، الحسين بن على (۱)، الشام (۱)، الهند (۱)، الصّلاة (۱)، الوسعة (۱)

صفحه ۰۵۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۷

وهو المعز لدين الله استولى على بلاد المغرب حتى الأندلس ثم سير جيشا نحو مصر وكان لابد لهذا الجيش أن يعبر النيل وهذا أمر غير مستطاع أولا لأن النيل عظيم الاتساع وثانيا لأنه مملوء بالتماسيح التى تجذب إلى قاعه فى الحال كل من يعبر ويقال إنه فى الطريق قرب مدينة مصر طلسم يحمى الإنسان والدواب من هذا الشر ولكن أثره يبطل على مسافة رمية سهم من المدينة فلا يجرؤ أحد أن يقترب من النيل قيل إن المعز أرسل جيشه فنزل حيث القاهرة اليوم وقد أمر جنوده قائلا- حين تصلون إلى النيل ينزل الماء أمامكم كلب أسود فيعبر النهر فاتبعوه واعبروا آمنين قيل وقد بلغ هذا المكان ثلاثون ألف فارس كلهم خدم المعز وقد انطلق الكلب سابحا أمامهم وساروا على أثره وعبروا من غير حادث ولم يقل أحد قط ان فارسا عبر نهر النيل راكبا وكانت هذه الحادثة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ۹۷۳ قد حضر السلطان إلى مصر عن طريق البحر فأفرغت السفن التى حضر بها قرب القاهرة وأخرجت من الماء وتركت

كأنها أشياء لا غناء فيها وقد رأى راوى هذه القصة ناصر خسرو تلك السفن وهى سبع طول الواحدة مائة وخمسون ذراعا وعرضها سبعون وقد مضى عليها هناك ثمانون سنة وكان ذلك سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ۱۰۴۶ حين بلغ الراوى هذا المكان

(۸۷)

مفاتيح البحث: الباطل، الإبطال (۱)

صفحه ۰۵۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۸

وحين دخل المعز لدين الله مصر تقدم له بالطاعة قائد الجيش الذى ولاه خليفة بغداد ونزل المعز بالجيش فى هذا الموضع الذى هو القاهرة اليوم وقد سمى المعسكر بالقاهرة لأن ذلك الجيش كان قاهرا وقد أمر المعز بأن لا يتجول أحد من جيشه فى المدينة أو يدخل بيت أحد ثم أمر أن تبنى مصر فى هذه الصحراء وأن يشيد كل من أفراد حاشيته بيتا وهكذا بنيت المدينة التى قل نظيرها وقدرت أن فى القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للسلطان وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية فى الشهر وليس بينها ما تقل أجرته عن دينارين والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها

(۸۸)

مفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)

صفحه ۰۵۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۸۹

الحصر وكلها ملك السلطان إذ ليس لأحد ان يملك عقارا أو بيتا غير المنازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه وسمعت أن للسلطان ثمانية ألف بيت فى القاهرة ومصر وأنه يؤجرها ويحصل أجرتها كل شهر يؤجرونها للناس برغبتهم ثم يتقاضون الأجر فلا يجبر شخص على شىء ويقع قصر السلطان فى القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أى بناء وقد مسحه المهندسون فوجدوه مساويا لمدينة ميافارقين وكل ما حوله فضاء ويحرسه كل ليلة ألف رجل خمسمائة فارس وخمسمائة رجل وهم ينفخون البوق ويدقون الطبل والكوس من وقت صلاة المغرب ويدورون حول القصر حتى الصباح ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره وقيل إن به اثنى عشر ألف خادم مأجور ومن يعرف عدد من فيه من النساء والجوارى إلا أنه يقال إن به ثلاثين ألف آدمى وهذا القصر يتكون من اثنى عشر جوسقا وله عشرة أبواب فوق الأرض لكل منها اسم على هذا التفصيل وذلك فضلا عن أبواب أخرى تحت الأرض باب الذهب باب البحر باب السريج باب الزهومة باب السلام

(۸۹)

مفاتيح البحث: مواقيت الصلاة (۱)

صفحه ۰۵۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۰

باب الزبرجد باب العيد باب الفتوح باب الزلاقة باب السرية وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا وهذا الباب على سرداب يؤدى إلى قصر آخر خارج لمدينة ولهذا السرداب الذى يصل بين القصرين سقف محكم وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة تقول إنها قدت من صخر واحد وفوق القصر المناظر والإيوانات العالية وفى داخله دهليز به دكك وأركان الدولة والخدم من العبيد

السود أو الروم والوزير رجل يمتاز عن الجميع بالزهد والورع والأمانة والصدق والعقل ولم يكن شرب الخمر مباحا أعنى أيام الحاكم هذا وفى أيامه حرم على النساء الخروج من بيوتهن وما كان أحد يجفف العنب فى بيته لجواز عمل السيكى (نوع من الشراب) منه ولم يكن أحدهم يجرؤ على شرب الخمر ولا كانوا يشربون الفقاع فقد قيل إنه مسكر فهو محرم وللقاهرة خمسة أبواب باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب الزويلة وباب الخليج وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعا من القلعة وكل قصر حصن ومعظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات ويجلب ماء الشرب من النيل ينقله السقاءون على الجمال والآبار القريبة

(۹۰)

مفاتيح البحث: شرب الخمر (۲)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۲)

صفحه ۶۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۱

من النيل عذب ماؤها وأما البعيدة عنه فماؤها ملح ويقال إن فى القاهرة ومصر اثنين وخمسين ألف جمل يحمل عليها السقاءون الروايا وهولأء عدا من يحمل الماء على ظهره فى الجرار النحاسية أو القرب وذلك فى الحارات الضيقة التى لا تسير فيها الجمال وفى المدينة بساتين وأشجار بين القصور تسقى من ماء الآبار وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها وقد نصبت السواقى لريها وغرست الأشجار فوق الأسطح فصارت متنزهات وحين كنت هناك أجر منزل مساحته عشرون ذراعا فى اثنى عشر ذراعا بخمسة عشر دينارا مغربيا فى الشهر وكان أربعة طوابق ثلاثة منها مسكونة والرابع خال وقد عرض على صاحبه خمسة دنانير مغربية كأجرة شهرية فرفض معتذرا بأنه يلزمه أن يقيم به أحيانا ولو أنه لم يحضر مرتين فى السنة التى أقمتها هناك وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر لا من الجص والآجر والحجارة وهى بعيدة عن بعضها فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر ويستطيع كل مالك أن يجعل ما ينبغى لبيته فى كل وقت من هدم أو إصلاح دون أن يضايق جاره ويرى السائر خارج المدينة ناحية الغرب ترعة كبيرة تسمى الخليج حفرها والد السلطان وله على شاطئيها ثلاثمائة قرية ويبتدئ فم الخليج من مدينة مصر ويمر بالقاهرة ويدور بها مارا أمام قصر السلطان وقد شيد على رأسه قصران أولهما قصر اللؤلؤة وثانيهما قصر

(۹۱)

صفحه ۶۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۲

الجوهرة وفى القاهرة أربعة مساجد جمعة الأزهر وجامع النور وجامع الحاكم وجامع المعز والأخير خارج القاهرة على شاطئ النيل

(۹۲)

مفاتيح البحث: السجود (۱)

صفحه ۶۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۳

ويتوجه المصريون نحو مطلع الحمل حين يولون وجوههم شطر القبلة وبين مدينتى مصر والقاهرة أقل من ميل والأولى فى الجنوب والثانية فى الشمال ويمر النيل بهما وبساتينهما وبيوتهما متصلة أما البقية فتحت مستوى الماء وتغمر المياه الوادى بأجمعه فى الصيف كأنه بحر عدا حديقة السلطان لأنها على مرتفع أما البقية فتحت مستوى الماء وصف فتح الخليج حين يبلغ النيل الوفاء أى من العاشر

شهر یور أغسطس وسبتمبر إلی العشرین من آبان (أکتوبر ونوفمبر) ویبلغ ارتفاع الماء ثمانیة عشر ذراعا عن مستواه فی الشتاء وتکون أفواه الترع والجداول مسدودة فی البلاد کلها یحضر السلطان راکبا لیفتح النهر الذی یسمی الخلیج والذی یبدأ قبل مدینة مصر ثم یمر بالقاهرة وهو ملک خاص للسلطان وفی ذلک الیوم یوم رکوب السلطان لفتح الخلیج تفتح الخلجان والترع الأخری فی الولایات کلها وهذا الیوم أعظم الأعیاد فی مصر ویسمی عید رکوب فتح الخلیج حینما یقترب ینصب للسلطان علی رأس الخلیج سرادق عظیم التکالیف من الدیباج الرومی وموشی کله بالذهب ومکلل بالجواهر ومعد أعظم إعداد بحیث یتسع ظله لمائة فارس وأمام هذا السرادق خیمة من البوقلمون وسرادق آخر کبیر وقبل الاحتفال بثلاثة أیام یدقون الطبل وینفخون البوق ویضربون الکوس فی الإصطبل لتألف الخیل هذه الأصوات وحین یرکب السلطان یصطف عشرة آلاف فارس علی خیولهم سروج

(۹۳)

صفحه ۰۶۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۴

مذهبة وأطواق وألجمة مرصعة وجمیع لبد السروج من الدیباج الرومی والبوقلمون نسجت لهذا الغرض خاصة فلم تفصل ولم تخط وطرزت حواشیها باسم سلطان مصر وعلی کل حصان درع أو جوشن وعلی قمة السرج خوذة وجمیع أنواع الأسلحة الأخری وکذلک تسیر جمال کثیرة علیها هوادج مزینة وبغال عمایاتها (هوادجها) کلها مرصعة بالذهب والجواهر وموشاة باللؤلؤ وإن الکلام لیطول إذا وصفت کل ما یکون یوم فتح الخلیج وفی ذلک الیوم یخرج جیش السلطان کله فرقة فرقة وفوجا فوجا فرقة تسمی الکتامیین وهم من القیروان أتوا فی خدمة المعز لدین الله وقیل إن عددهم عشرون ألف فارس وفرقة تسمی الباتلیین وهو رجال من المغرب دخلوا مصر قبل مجیء السلطان إلیها وقیل إن عددهم خمسة عشر ألف فارس وفرقة تسمی المصامدة وهو سود من بلاد المصامدة قیل أن عددهم عشرون ألف رجل وفرقة تسمی المشارقة وهم ترک وعجم وسبب هذه التسمیة أن أصلهم لیس عربیا ولو أن أکثرهم ولد فی مصر وقد اشتق اسمهم من الأصل قیل إنهم عشرة آلاف رجل وهم ضخام الجثة وفرقة تسمی عبید الشراء وهم عبید مشترون قیل أن عددهم ثلاثون ألف رجل وفرقة تسمی البدو وهم من أهل الحجاز یقال لهم الرماة وهم خمسون ألف فارس وفرقة تسمی الأستاذین کلهم خدم بیض وسود اشتروا للخدمة وهم ثلاثون ألف فارس وفرقة تسمی السرائیین وهم مشاة جاءوا من کل ولایة ولهم قائد خاص یتولی رعایتهم وکل منهم یستعمل سلاح ولایته وعددهم عشرة آلاف رجل

(۹۴)

صفحه ۰۶۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۵

وفرقة تسمی الزنوج یحاربون بالسیف وحده وقیل أنهم ثلاثون ألف رجل ونفقة هذا الجیش کله من مال السلطان ولکل جندی منه مرتب شهری علی قدر درجته ولا یجبر علی دفع دینار منها أحد الرعایا أو العمال ولکن هؤلاء یسلمون للخزانة أموال ولایتهم سنة فسنة وتصرف أرزاق الجند من الخزانة فی وقت معین بحیث لا یرهق وال أو واحد من الرعیة بمطالبة الجند وهناک فرقة من أبناء الملوک والأمراء الذین جاءوا لمصر من أطراف العالم ولا یعدون من الجیش وهم من المغرب والیمن والروم وبلاد الصقالبة والنوبة وأولاد ملوک الکرج (جورجیا) وأبناء ملوک الدیلم وأبناء خاقان ترکستان وکذلک وجد فی یوم فتح الخلیج طبقات أخری من الرجال ذوی الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء ولکل منهم أرزاق معینة ولا یقل رزق الواحد من أبناء الأمراء عن خمسمائة دینار وقد یبلغ الألفین ولیس لهم عمل إلا أن یذهبوا لیسلموا علی الوزیر حین یرکب ثم یعودون والآن نعود إلی حدیث فتح الخلیج

(۹۵)

صفحه ۰۶۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۶

فی الیوم الذی ذهب السلطان فی صباحه لفتح الخلیج استأجروا عشر آلاف رجل أمسک کل واحد منهم إحدی الجنائب التی ذکرتها وساروا مائة مائة وأمامهم الموسیقیون ینفخون البوق ویضربون الطبل والمزمار وسار خلفهم فوج من الجیش مضی هؤلاء من قصر السلطان حتی رأس الخیول أتت الجمال وعلیها المهود والمراقد ومن بعدها البغال وعلیها العماریات وقد ابتعد السلطان عن الجیش والجنائب وهو شاب کامل الجسم طاهر الصورة من أبناء أمیر المؤمنین حسین بن علی بن أبی طالب صلوات الله علیهما کان حلیق شعر الرأس یرکب علی بغل لیس فی سرجه أو لجامه حلیة فلیس علیه ذهب أو فضة وقد ارتدی قمیصا أبیض علیه فوطة فضفاضة کالتی تلبس فی بلاد المغرب والتی تسمی فی بلاد العجم دراعة وقیل أن اسم هذا القمیص الدبیقی وإنه یساوی عشر آلاف دینار وکان علی رأسه عمامة من لونه ویمسک بیده سوطا ثمینا وأمامه ثلاثمائة راجل دیلمی علیهم ثیاب رومیة مذهبة وقد حزموا خصورهم وأکمامهم واسعة کما یلبس رجال مصر ومعهم النشاب والسهام وقد عصبوا سیقانهم ویسیر مع السلطان حامل المظلة راکبا حصانا وعلی رأسه عمامة مذهبة مرصعة وعلیه حلة قیمتها عشرة آلف دینار ذهبی مغربی والمظلة التی بیده ثمینة جدا وهی مرصعة ومکللة ولیس مع السلطان فارس غیر حامل المظلة وقد سار أمامه الدیالمة وعلی یمینه ویساره جماعة من الخدم

(۹۶)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الطهارة (۱)، اللبس (۱)، الوسعة (۱)، القمیص (۱)

صفحه ۰۶۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۷

یحملون المجامر ویحرقون العنبر والعود والعادة فی مصر أن یسجد الرجال للسلطان وأن یدعوا له کلما قرب منهم وجاء بعد السلطان الوزیر مع قاضی القضاة وفوج کبیر من أهل العلم وأرکان الدولة وقد ذهب السلطان إلی حیث ضرب الشراع علی رأس سد الخلیج أی فم النهر وظل ممتطیا البغل تحت السرادق مدة ساعة وبعد ذلک سلموه مزراقا لیضرب به السد ثم عجل الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس والمخارف فانساب الماء وقد کان مرتفعا وجری دفعة واحدة فی الخلیج وفی هذا الیوم یخرج جمیع سکان مصر والقاهرة للتفرج علی فتح الخلیج وتجری فیه أنواع الألعاب العجیبة وکان فی أول سفینة نزلت الخلیج جماعة من الخرس یسمون بالفارسیة کنکت ولآل لعلهم یتفاءلون بنزولهم ویجری السلطان علیهم صدقاته فی هذا الیوم وکان للسلطان إحدی وعشرون سفینة وقد عمل لها حوض خاص قرب القصر فی اتساع میدانین أو ثلاثة وطول کل سفینة منها خمسون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا وکلها مزینة بالذهب والفضة والجواهر والدیباج ولو وصفتها لسطرت أوراقا کثیرة وهذه السفن کلها مربوطة فی الحوض معظم الوقت کالبغال فی الإصطبل

(۹۷)

مفاتیح البحث: السجود (۱)، الضرب (۱)، السفینة (۳)

صفحه ۰۶۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۸

وللسلطان حدیقة تسمی حدیقة عین شمس علی فرسخین من القاهرة وهناک عین ماء عذبة سمی البستان بها ویقال إن هذه الحدیقة

کانت لفرعون وقد رأیت قربها بنایة قدیمة بها أربع قطع من الحجارة الکبیرة کل قطعة مثل المنارة وطول کل منها ثلاثون ذراعا وکان الماء یقطر من رؤوسها ولا یدری أحد ما هی وفی الحدیقة شجرة البلسان یقال إن آباء هذا

(۹۸)

صفحه ۰۶۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۹۹

السلطان أتوا ببذرتها من بلاد المغرب وزرعوها فی الحدیقة ولا یوجد غیرها فی جمیع الآفاق وهی غیر معروفة فی بلاد المغرب ومع أن لهذه الشجرة بذرا إلا أنه لا ینبت حیثما زرع وإذا نبت فلا یخرج الزیت منه وهذه الشجرة مثل شجرة الآس یشذبون غصونها بالنصل حینما تکبر ویربطون زجاجة عند موضع کل قطع فیخرج منه الدهن کالصمغ وحین ینفذ ما فیها من دهن تجف ویحمل البستانیون غصونها إلی المدینة ویبیعونها ولحاؤها ثخین وطعمه کاللوز حین یقشر وینبت فی جزعها أغصان فی السنة التالیة فیعملون بها کما فعلوا فی السنة الغابرة ولمدینة القاهرة عشر محلات وهم یسمون المحلة حارة وهی حارات برجوان وزویله والجودریة والأمراء والدیالمة

(۹۹)

صفحه ۰۶۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۰

والروم والباطلیة وقصر الشوق وعبید الشرا والمصامدة وصف مدینة مصر شیدت مصر علی ربوة وجانبها الشرقی جبلی یتکون من جبال حجریة غیر عالیة کالتلال وفی طرف المدینة جامع ابن طولون وهو مشید علی ربوة وله جداران محکمان ولم أر أعظم منهما غیر جدار آمد وسیافارقین وقد بناه أمیر من أمراء العباسین کان حاکما علی مصر وفی أیام الحاکم بأمر الله جد هذا السلطان المستنصر باعه أحفاد ابن طولون بثلاثین ألف دینار

(۱۰۰)

صفحه ۰۷۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۱

مغربی وبعد مدة شرعوا فی هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع فأرسل لهم الحاکم قائلا بقد بعتمونی هذا المسجد فکیف تهدمونه فأجابوا نحن لم نبع المئذنة فأعطاهم خمسة آلاف دینار ثمنا لها وکان السلطان یصلی فی هذا المسجد طوال شهر رمضان وأیام الجمع من بقیة الشهور ومدینة مصر مشیدة علی ربوة خشیة فیضان الماء علیها وهذه الربوة کانت مغطاة فی وقت ما بأحجار کبیرة جدا فکسرت وسویت ویقال الآن للأماکن التی لم تسو عقبة وتبدو مصر کأنها جبل حین ینظر إلیها من بعید وبمصر بیوت مکونة من أربع عشرة طبقة وبیوت من سبع طبقات وسمعت من ثقات أن شخصا غرس حدیقة علی سطح بیت من سبعة أدوار وحمل إلیها عجلا رباه فیها حتی کبر ونصب فیها ساقیة کان هذا الثور یدیرها ویرفع الماء إلی الحدیقة من البئر وزرع علی هذا السطح شجر النارنج والترنج والموز وغیرهما وقد أثمرت کلها کما زرع فیها الورد والریحان وأنواع الزهور الأخری وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دورا کثیرة فیها حجرات للاستغلال أی للإیجار ومساحتها ثلاثون ذراعا فی ثلاثین وتسع ثلاثمائة وخمسین شخصا وهناک أسواق وشوارع تضاء فیها القنادیل دائما لأن الضوء لا یصل إلی أرضها ویسیر فیها الناس وفی مصر سبعة جوامع غیر جوامع القاهرة والمدینتان متصلتان وفیهما

معا خمسة عشر جامعا (مسجد جمعة) وذلک لتلقی خطبة الجمعة والصلاة

(۱۰۱)

مفاتیح البحث: شهر رمضان المبارک (۱)، الحج (۱)، الصّلاة (۱)، السجود (۳)

صفحه ۰۷۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۲

فی کل حی منهما وفی وسط سوق مصر جامع یسمی باب الجوامع شیده عمرو بن العاص أیام إمارته علی مصر من قبل عمر بن الخطاب وهذا المسجد قائم علی أربعمائة عمود فی الرخام والجدار الذی علیه المحراب مغطی کله بألواح الرخام الأبیض التی کتب القرآن علیها بخط جمیل ویحیط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق وعلیها تفتح أبوابه ویقیم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون وهو مکان اجتماع سکان المدینة الکبیرة ولا یقل من من فیه فی أی وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والکتاب الذین یحررون الصکوک والعقود وغیرها وقد اشتری الحاکم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص وکانوا قد ذهبوا الیه وقالوا نحن فقراء معوزون وقد بنی جدنا هذا المسجد فإذا اذن السلطان نهدمه ونبیع أحجاره ولبناته فاشتراه الحاکم بمائة آلف دینار وأشهد علی ذلک کل أهل مصر ثم أدخل علیه عمارات کثیرة عظیمة منها ثریا فضیة لها ستة عشر جانبا کل جانب منها ذراع ونصف فصارت دائرتها أربعا وعشرین ذراعا ویوقدون فی لیالی المواسم أکثر من سبعمایة قندیل ویقال ان وزن هذه الثریا خمسة وعشرون قنطارا فضة کل قنطار مائة رطل وکل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم ویقال انه حین تم صنعها لم یتسع لها باب من أبواب المسجد لکبرها فخلعوا بابا وأدخلوها منه ثم أعادوا الباب مکانه ویفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصیر الجمیل الملون بعضها فوق بعض ویضاء کل لیلة بأکثر من مائة قندیل وفی هذا المسجد مجلس قاضی القضاة

(۱۰۲)

مفاتیح البحث: الخلیفة عمر بن الخطاب (۱)، عمرو بن العاص (۲)، القرآن الکریم (۱)، السجود (۸)

صفحه ۰۷۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۳

وعلی الجانب الشمالی للمسجد سوق یسمی سوق القنادیل لا یعرف سوق مثله فی أی بلد وفیه کل ما فی العالم من طرائف ورأیت هناک الأدوات التی تصنع من الذبل کالأوعیة والأمشاط ومقابض السکاکین وغیرها ورأیت کذلک معلمین مهرة ینحتون بلورا غایة فی الجمال وهم یحضرونه من المغرب وقیل إنه ظهر حدیثا عند بحر القلزم بلور ألطف وأکثر شفافیة من بلور المغرب ورأیت أنیاب الفیل أحضرت من زنجبار وکان وزن کثیر منها یزید علی مائتی من کما أحضر جلد البقر من الحبشة یشبه جلد النمر ویعملون منه النعال وقد جلبوا من الحبشة طائرا ألیفا کبیرا به نقط بیضاء وعلی رأسه تاج مثل الطاووس وتنتج مصر عسلا وسکرا کثیرا وفی الیوم الثالث من شهر دی القدیم (دیسمبر ینایر) من السنة الفارسیة ست عشرة وأربعمائة رأیت فی یوم واحد هذه الفواکه والریاحین الورد الأحمر والنیلوفر والنرجس والترنج والنارنج والیمون والمرکب والتفاح والیاسمین والریحان الملکی والسفرجل والرمان والکمثری والبطیخ والعطر والموز والزیتون والبلیج (الإهلیلج) والرطب والعنب وقصب السکر والباذنجان والقرع واللفت والکرنب والفول الأخضر والخیار والقثاء والبصل والثوم والجزر والبنجر وکل من یفکر کیف تجتمع هذه الأشیاء التی بعضها خریفی وبعضها ربیعی وبعضها صیفی وبعضها شتوی لا یصدق هذا ولکن لیس لی قصد فیما ذکرت ولم أکتب الا ما رأیت وأما ما سمعته ثم کتبته فلیست عهدته علی فولایة مصر عظیمة الاتساع بها کل أنواع الجو من البارد والحار وتجلب کل الحاجیات لمدینة مصر من جمیع البلاد ویباع بعضها

فی الأسواق ویصنعون بمصر الفخار من کل نوع وهو لطیف وشفاف بحیث إذا وضعت یدک علیه من الخارج ظهرت من الداخل وتصنع منه الکؤوس

(۱۰۳)

مفاتیح البحث: یوم عاشوراء (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۷۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۴

والأقداح والأطباق وغیرها وهم یلونونها بحیث تشبه البوقلمون فتظهر مختلف فی کل جهة تکون بها ویصنعون بمصر قوارير کالزبرجد فی الصفاء والرقة ویبیعونها بالوزن وسمعت من بزاز ثقة أن وزن الدرهم الواحد من الخیط یشتری بثلاثة دنانیر مغربیة وهی تساوی ثلاثة دنانیر ونصف نیسابوریة وقد سألت فی نیسابور بکم یشترون أجود الخیط فقالوا إن الخیط الذی لا نظیر له یشتری الدرهم منه بخمسة دراهم ومدینة مصر ممتدة علی شاطئ النیل الذی بنیت علیه القصور والمناظر الکثیرة بحیث إذا احتاجوا إلی الماء رفعوه بالحبال من النیل أما ماء المدینة فیحضره السقاءون من النیل أیضا یحمله بعضهم علی الإبل وبعضهم علی کتفه ورأیت قدورا من النحاس الدمشقی کل واحد منها یسع ثلاثین منا وکانت من الطلاوة بحیث تظنها من ذهب وقد حکوا لی أن امرأة تملک خمسة آلاف قدر وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم فی الشهر وینبغی أن یردها المستأجر سلیمة وأمام مصر جزیرة وسط النیل کان علیها مدینة فی وقت ما والجزیرة غربی المدینة وبها مسجد جمعة وحدائق وهی صخرة وسط النهر تقسمه قسمین کل منهما فی اتساع جیحون ولکن أکثر هدوءا وبطأ فی جریانه وثبت بین الجزیرة والمدینة جسر من ست وثلاثین سفینة ویقع جزء من مدینة مصر علی جانب النیل الآخر ویسمونه الجیزلا وبها مسجد لصلاة الجمعة ولکن لیس لها جسر ولذا یعبر الناس بالزوار أو بالمعابر وهی کثیرة فی مصر أکثر مما فی بغداد أو البصرة

(۱۰۴)

مفاتیح البحث: صلاة الجمعة (۱)، مدینة البصرة (۱)، مدینة بغداد (۱)، السجود (۲)

صفحه ۰۷۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۵

وتجار مصر یصدقون فی کل ما یبیعونه وإذا کذب أحدهم علی مشتر فإنه یوضع علی جمل ویعطی جرسا بیده ویطوف به فی المدینة وهو یدق الجرس وینادی قائلا- قد کذبت وها أنا أعاقب وکل من یقول الکذب فجزاؤه العقاب ویعطی التجار فی مصر من بقالین وعطارین وبائعی خردوات الأوعیة اللازمة لما یبیعون من زجاج أو خزف أو ورق حتی لا- یحتاج المشتری أن یحمل معه وعاء ویستخرجون من بذور الفجل واللفت زیتا للمصابیح یسمونه الزیت الحار والسمسم هناک قلیل وزیته عزیز وزیت الزیتون رخیص والفستق أغلی من اللوز ولا- تزید العشرة أمنان من اللوز المقشور علی دینار واحد ویرکب أهل السوق وأصحاب الدکاکین الحمر المسرجة فی ذهابهم وإیابهم من البیوت إلی السوق وفی کل حی علی رأس الشوارع حمر کثیرة علیها برادع مزینة یرکبها من یرید نظیر أجر زهید وقیل إنه یوجد خمسون ألف بهیمة مسرجة تزین کل یوم وتکری ولا یرکب الخیل إلا الجند والعسکر فلا یرکبها التجار أو القرویون أو أصحاب الحرف والعلماء ورأیت کثیرا من الحمر البلق کالخیل بل أجمل وکان أهل مدینة مصر فی غنی عظیم حین کنت هناک وفی سنة تسع وثلاثین وأربعمائة (۱۰۴۷) ولد للسلطان ولد فأمر الناس بإقامة الأفراح فزینت المدینة والأسواق زینة لو وصفتها لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول ولما صدقونی فقد کانت دکاکین البزازین والصرافین وغیرهم مملوءة بالذهب والجواهر

والنقد والأمتعة المختلفة والملابس المذهبة والمقصبة بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس وكان الناس جميعا يثقون بالسلطان فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين معتمدين على أن السلطان لا يظلم أحد ولا يطمع فى مال أحد ورأيت أموالا يملكها بعض المصرين لو ذكرتها أو وصفتها لما صدقنى الناس فى فارس فإنى

(۱۰۵)

مفاتيح البحث: الكذب، التكذيب (۳)، الغنى (۱)

صفحه ۰۷۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۶

لا أستطيع أن أحدد أموالهم أو أحصرها أما الأمن الذى رأيته هناك فإنى لم أره فى بلد من قبل وقد رأيت هناك نصرانيا من سراة مصر قيل إن سفنه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد وحدث فى سنه ما أن كان النيل ناقصا وكانت الغلة عزيزة فأرسل الوزير إلى هذا النصرانى وقال ليست السنة رخاء والسلطان مشفق على الرعية فاعط ما استطعت من الغلة إما نقدا وإما قرضا قال النصرانى أسعد الله السلطان والوزير إن لدى من الغلة ما يمكننى من إطعام أهل مصر الخبز ست سنوات ولا شك ان سكان مصر فى ذلك الوقت كانوا كثرين فإن سكان نيسابور خمسهم مع الإسراف فى التقدير وكل من يستطيع الحكم يدرك كم ينبغى أن يكون لهذا الثرى لتبلغ غلته هذا المقدار وأى سلام كانت فيه الرعية وأى عدل كان للسلطان بحيث تكون أحوال الناس على هذا الوضع وأموالهم بهذا القدر لم يكن السلطان يظلم أو يجور على أحد ولا كان أحد من الرعية يخفى أو ينكر شيئا مما يملك ورأيت هناك خانا يسمى دار الوزير لا يباع فيه سوى القصب وفى الدور الأسفل منه يجلس الخياطون وفى الأعلى الرفاءون وسألت القيم عن أجرة هذا الخان الكبير فقال كانت سنة عشرين ألف دينار مغربى ولكن جانبا منه قد تخرب وهو يعمر الآن فيحصل منه كل شهر ألف دينار يعنى اثنى عشر ألف دينار فى السنة وقيل إن فى هذه المدينة مائتى خان أكبر منه أو مثله وصف مائدة السلطان يقيم السلطان مأدبة فى كل من العيدين ويأذن بالاستقبال فى قصره

(۱۰۶)

مفاتيح البحث: الطعام (۱)، الإسراف (۱)

صفحه ۰۷۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۷

للخواص والعوام وتنصب مائدة الخواص فى حضرته ومائدة العوام فى سرايات أخرى وقد سمعت كثيرا عن هذه المآدب فرغبت فى رؤيتها رأى العين فذهبت عند أحد كتاب السلطان وكنت قد صاحبته فتوطدت الصداقة بيننا وقلت له رأيت مجالس ملوك وسلاطين العجم مثل السلطان محمود الغزنوى وابنه السلطان مسعود وقد كانا ملكين عظيمين ذوى نعمة وجلال وأريد أن أرى مجالس أمير المؤمنين فنقل رغبتى إلى الموكل بالستار المسمى صاحب الستر وقد تفضل هذا فسمح لى بالذهاب فى آخر رمضان سنة أربعين وأربعمائة (۷ مارس ۱۰۴۹) وكان المجلس قد أعد لليوم الثانى وهو يوم العيد حيث يحضر السلطان بعد الصلاة فيجلس فى صدر المائدة حين دخلت من باب السراى رأيت عمارات وصفف وإيوانات إن أصفها يطل الكتاب كان هناك اثنا عشر جناحا أبنيتها مربعة وكلها متصلة بعضها ببعض وكلما دخلت جناحا منها وجدته أحسن من سابقه ومساحة كل واحد منها مائة ذراع فى مائة عدا واحدا منها كانت مساحته ستين ذراعا فى ستين كان بهذا الأخير تخت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث وعليه صور المصطاد والميدان وغيرهما كما أن عليه كتابة جميلة وكل ما فى هذا الحرم من الفرش والطرح من الديباج الرومى

والبوقلمون نسجت على قدر كل موضع تشغله وحول التخت درابزين من الذهب المشبك يفوق حد الوصف ومن خلف التخت بجانب الحائط درجات من الفضة وبلغ هذا التخت من العظمة أنى لو قصرت هذا الكتاب كله على وصفه ما استوفيت الكلام وما كفى (۱۰۷)

مفاتيح البحث: شهر رمضان المبارك (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۷۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۸

وقيل إن راتب السكر فى ذلك اليوم الذى تنصب فيه مائدة السلطان خمسون ألف من وقد رأيت على المائدة شجرة أعدت للزينة تشبه شجرة الترنج كل غصونها وأوراقها وثمارها مصنوعة من السكر وعليها ألف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر أيضا ومطبخ السلطان خارج القصر ويعمل فيه دائما خمسون غلاما ويصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض وجرت العادة فى مصر أن يحمل إلى دار الشراب السلطانية (شرابخانة) كل يوم أربعة عشر حملا من الثلج وكان لمعظم الأمراء والخواص راتب من هذا الثلج ويصرف منه لمن يطلبه من مرضى المدينة وكذلك كل من يطلب من أهلها مشروبا أو دواء من الحرم السلطانى فإنه يعطاه كما أن هناك زيوتا أخرى كزيت البلسان وغيره كان للناس كافة أن يطلبوها فلا تمنع عنهم سيرة سلطان مصر بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم بل يسدلون عليها الستائر ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شىء منها يحكى أنه كان بمصر يهودى وافر الثراء يتجر بالجواهر وكان مقربا من السلطان الذى كان يعتمد عليه فى شراء ما يريد من الجواهر الكريمة وذات يوم اعتدى عليه الجنود وقتلوه فلما ارتكبوا هذا الجرم خشوا بطش السلطان فركب عشرون ألف فارس منهم وخرجوا إلى الميدان وهكذا خرج الجيش إلى الصحراء وخاف أهل المدينة مغبة هذه المظاهرة إذ ظل الجيش فى الصحراء حتى منتصف النهار فخرج إليهم خادم القصر ووقف بباب السراى وقال إن السلطان يسأل إذا كنتم مطيعين أم لا فصاحوا صيحة واحدة نحن عبيد مطيعون ولكننا أذنبنا فقال الخادم يأمركم السلطان بأن تعودوا فعادوا فى الحال

(۱۰۸)

مفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۱)

صفحه ۰۷۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۰۹

واسم هذا اليهودى المقتول أبو سعيد وكان له ابن وأخ وقيل إنه لا يعرف مدى غناه إلا الله فقد كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع فى كل منها شجرة كأنها حديقة وكلها أشجار مثمرة وقد كتب أخوه لما ملكه من الفزع رسالة للسلطان يقول فيها إنى أقدم للخزانة مائتى ألف دينار مغربى حالا فأمر السلطان بعرض الرسالة على الناس وتمزيقها على الملأ وقال كونوا آمنين وعودوا إلى بيوتكم فليس لأحد شأن بكم ولسنا بحاجة لمال أحد واستمالهم إليه وكان لكل مسجد فى جميع المدن والقرى التى نزلت بها من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السرج والحصير والبوريا وسجاجيد الصلاة ورواتب القوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم وكتب والى الشام فى بعض السنين إلى السلطان بأن الزيت قليل ثم استأذن فى أن يصرف للمساجد الزيت الحار المستخرج من بذور الفجل واللفت فأجيب إنك مأمور لا وزير وليس من الجائز أن تغير أو تبدل فى شىء يتعلق ببيت الله ويتقاضى قاضى القضاة ألفى دينار مغربى فى الشهر ومرتب كل قاض على قدر مرتبته ذلك حتى لا يطمع القضاة فى أموال الناس أو يظلمونهم والعادة فى مصر أن يقرأ مرسوم السلطان فى المساجد فى منتصف رجب وهو يا معشر المسلمين حل موسم الحج وسيجهز ركب

السلطان كالمعتاد وسيكون معه الجنود والخيل والجمال والزاد وينادى بذلك فى شهر رمضان

(۱۰۹)

مفاتيح البحث: شهر رجب المرجب (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، الشام (۲)، الحج (۱)، السجود (۳)، الفزع (۱)، الصّلاة (۱)

صفحه ۰۷۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۰

أيضا ويبدأ الناس فى السفر ابتداء من أول ذى القعدة وينزلون فى موضع معين ثم يسيرون فى منتصف هذا الشهر ويبلغ خرج الجيش الذى يرافق السلطان ألف دينار مغربى فى اليوم هذا عدا عشرين دينارا مرتبة لكل رجل فيه ويبلغون مكة فى خمسة وعشرين يوما ويمكثون بها عشرة أيام ثم يعودون إلى مصر فى خمسة وعشرين يوما ونفقاتهم فى الشهرين ستون ألف دينار مغربى عدا التعهدات والصلات والمشاهرات وثمن الجمال التى تنفق فى الطريق وقد قرى على الناس سنة تسع وثلاثين وأربعمائة المرسوم التالى من سجل السلطان يقول أمير المؤمنين أنه ليس من الخير أن يسافر الحجاج للحجاز هذا العام فإن به قحطا وضيقا وقد هلك به خلق كثيرون وأنى أقول هذا شفقة بالمسلمين فلم يسافر الحجاج وكان السلطان يرسل الكسوة للكعبة كالمعتاد لأنه يرسلها مرتين كل سنة فلما سافرت الكسوة مع وفد السلطان عن طريق القلزم سافرت معهم فخرجت من مصر أول ذى القعدة وبلغت القلزم فى الثامن منه ومن هناك أقلعت السفينة فبلغنا بعد خمسة عشر يوما مدينة تسمى الجار فى الثانى والعشرين من ذى القعدة وقمنا من هناك فبلغنا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أربعة أيام المدينة والمدينة بلد على حافة الصحراء أرضها رطبة وملحة يجرى بها ماء قليل وهى كثيرة النخل والقبلة هناك ناحية الجنوب ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قدر المسجد الحرام ومقامه عليه الصلاة والسلام بجانب المنبر يسار المصلين وهو متوجهون ناحية القبلة فحين يذكر الخطيب وهو فوق

(۱۱۰)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، شهر ذى القعدة (۳)، مدينة مكة المكرمة (۱)، مسجد الحرام (۱)، السجود (۱)، الإنفاق (۱)، الهلاك (۱)، الصّلاة (۲)، السفينة (۱)

صفحه ۰۸۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۱

المنبر النبى عليه السلام ويصلى عليه يلتفت ناحية اليمين ويشير إلى المقام الشريف وهذا المقام مخمس ترتفع حوائطه من بين أعمدة المسجد ويحيط به خمسة أعمدة وكان فى آخره حظيرة أحيطت بسياج حتى لا يدخلها أحد وأسدل على الجزء المكشوف منها شبكة حتى لا تدخلها الطيور وبين قبر الرسول والمنبر مسافة من الرخام تشبه الساحة وتسمى الروضة ويقال إنها روضة من رياض الجنة كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ويقول الشيعة إن هناك قبر فاطمة الزهراء عليها السلام وللمسجد باب واحد وخارج المدينة ناحية الجنوب صحراء بها مقبرة فيها قبر (أمير المؤمنين) حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه يسمونها قبور الشهداء وقد أقمنا يومين بالمدينة ثم غادرناها لضيق الوقت فسرنا شرقا وعلى منزلين منها جبل ومضيق يشبه الوادى يسمى الجحفة وهناك ميقات حجاج المغرب والشام ومصر والميقات هو الموضع الذى يحرم منه الحجاج ويقال إن الحجاج نزلوا هناك فى سنة ما وكانوا كثيرين فنزل عليهم السيل فجأة فأهلكهم لذلك سمى هذا المكان الحجفة وبين مكة والمدينة مائة فرسخ من الصخر قطعناها فى ثمانية أيام وقد بلغنا مكة فى يوم الأحد السادس من ذى الحجة ونزلنا عند باب الصفا وكان بمكة قحط فكانت الأربعة أمنان من الخبز بدينار نيسابورى وقد هاجر منها المجاورون ولم يفد عليها حاج من أى بلد وقد أدينا فريضة الحج لله الحق

سبحانه وتعالی یوم الأربعاء فی عرفات ولبثنا بمکة یومین قد خرج من الحجاز خلق کثیر مما أصابهم من الجوع والفقر وتفرقوا فی البلاد

(۱۱۱)

مفاتیح البحث: السیدة فاطمة الزهراء سلام الله علیها (۱)، حمزة بن عبد المطلب سید الشهداء علیه السلام (۱)، شهر ذی الحجة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۴)، الشام (۱)، الحج (۱)، القبر (۴)، السجود (۱)، الصّلاة (۲)

صفحه ۰۸۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۲

ولا أذکر مناسک الحج ووصف مکة الآن سأذکر ذلک عند ذکر آخر نوبة للحج حین بقیت ستة أشهر بمکة مجاورا وسأشرح ما رأیت ثم توجهنا ناحیة مصر فبلغناها بعد خمسة وسبعین یوما وقد هاجر إلیها من الحجاز فی هذا العام خمسة وثلاثون ألف آدمی فکساهم السلطان وأجری علیهم الرزق سنة کاملة وقد کانوا جمیعا جائعین عرایا ولما أمطرت السماء فی بلادهم وکثر فیها الطعام کساهم السلطان صغیرهم وکبیرهم وأغدق علیهم الصلات ثم رحلهم إلی الحجاز وفی شهر رجب سنة أربعین وأربعمائة (دیسمبر سنة ۱۰۴۸) قرأوا علی الناس مرة أخری مثالا للسلطان بأن فی الحجاز قحطا ولیس من الخیر أن یسافر الحجاج فلینفقوا المال علی أنفسهم ولیفعلوا ما أمر الله به وفی هذه السنة أیضا لم یسافر الحجاج ولکن السلطان لم یقصر البتة فی إرسال ما کان یرسله کل سنة من الکسوة وأجور الخدم والحاشیة وأمراء مکة والمدینة وصلة أمیر مکة وقد کانت ثلاثة آلاف دینار فی الشهر وکانت ترسل الیه الخیول والخلع مرتین فی السنة وعهد بهذا فی هذه السنة إلی رجل اسمه القاضی عبد الله من قضاة الشام وقد ذهبت معه من طریق القلزم وقد بلغت السفینة الجار فی الخامس والعشرین من ذی القعدة وکان موعد الحج قد قرب کثیرا وکان الجمل یؤجر بخمسة دنانیر فذهبنا مسرعین بلغت مکة فی الثامن من ذی الحجة وأدیت فریضة الحج بعون الله سبحانه وتعالی وقد حدث أن قافلة عظیمة أتت للحج من بلاد المغرب وفی أثناء عودة حجاجها عند باب المدینة المنورة طلب العرب الخفارة منهم فقامت الحرب بینهم وقتل من المغاربة أکثر من ألفی رجل ولم یعد کثیر منهم إلی المغرب وفی هذه الحجة أیضا قام جماعة من أهل خراسان عن

(۱۱۲)

مفاتیح البحث: شهر ذی القعدة (۱)، شهر ذی الحجة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۵)، شهر رجب المرجب (۱)، المدینة المنورة (۱)، خراسان (۱)، الشام (۱)، الحج (۵)، الرزق (۱)، الطعام (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، السفینة (۱)

صفحه ۰۸۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۳

طریق الشام ومصر فبلغوا المدینة فی سفینة وقد بقی علیهم أن یقطعوا مائة فرسخ وأربعة حتی عرفات وهم فی السادس من ذی الحجة فقالوا إن کلا منا یدفع أربعین دینارا لمن یرحلنا إلی مکة فی هذه الأیام الثلاثة الباقیة لنلحق الحج فجاء الأعراب وأوصلوهم إلی عرفات فی یومین ونصف یوم وأخذوا أجورهم ذهبا وکانوا قد شدوهم إلی جمال سریعة وأتوا بهم من المدینة إلی عرفات وقد هلک اثنان منهم وکانوا موثقین علی الجمال وکان أربعة منهم نصف أموات وقد بلغوا عرفات ونحن هناک ساعة صلاة العصر وکانوا لا یستطیعون الوقوف أو الکلام قالوا إنا توسلنا کثیرا فی الطریق أن یأخذ هؤلاء الأعراب الذهب الذی اشترطنا وأن یترکونا فإنه لا طاقة لنا علی مواصلة السفر ولکنهم لم یسمعوا لنا وساقونا علی هذا النحو ومهما یکن فقد حج هؤلاء الأربعة وعادوا عن طریق الشام وبعد أن أکملت الحج توجهت نحو مصر فقد کانت لی بها کتب ولم یکن فی نیتی أن أعود إلیها وقد صحبت أمیر مکة إلی مصر هذا العام

فقد كان له رسم على السلطان يعطاه كل سنة لقرابته من أبناء الحسين بن على صلوات الله عليهما فركبت السفينة معه حتى مدينة القلزم ومن هناك سرنا إلى مصر فى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (۱۰۴۹) وأنا بمصر جاء الخبر أن ملك حلب قد شق عصا الطاعة على السلطان وكان تابعا له وكان آباؤه ملوكا على حلب وكان للسلطان خادم اسمه عمدة الدولة هو أمير المطالبين وكان عظيم الجاه والمال ويسمى مطالبا من يبحث عن تلال مصر عن الكنوز والدفائن ويأتى لهذا الأمر رجال من المغرب وأديار مصر والشام ويتحمل (۱۱۳)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۲)، الشام (۳)، الحج (۳)، الهلاك (۱)، الصّلاة (۱)، السفينة (۲)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۸۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۴

كل منهم المشاق وينفق المال الكثير فى تلال مصر ومحاجرها وكثيرا ما لا يجدون الدفائن والكنوز وكثيرا ما ينفقون المال ولا يهتدون إلى شىء منها فإنهم يقولون إن أموال فرعون مدفونة فى هذه المواضع ويأخذ السلطان خمس ما يكشفه المطالب والباقى له قصارى القول إن السلطان بعث هذا الخادم إلى حلب وأمده بقوة ليشد أزره وأعطاه كل ما ينبغى للملوك من الدهاليز والسرر فلما بلغ حلب وقاتل وقتل وكانت أمواله من الكثرة بحيث استغرق نقلها من خزائنه إلى خزائن السلطان شهرين وكان من جملتها ثلاثمائة جارية أكثرهن كالبدور وبعض سراريه وقد أمر السلطان بأن يكن مخيرات فمن رغبن فى الزواج منهن زوجهن ومن لم يردن أعدن إلى بيوتهن وصرفت إليهن أموالهن كاملة فلم تجبر واحدة منهن على شىء ولما قتل عمدة الدولة خاف ملك حلب أن يرسل له السلطان جيشا فبادر بإرسال ابنه وهو فى السابعة من عمره مع زوجه ومعهما كثير من التحف والهدايا للسلطان وذلك ليعتذرا عما فعل فلما جاءا مكثا ما يقرب من شهرين خارج مصر ولم يؤذن لهما بالدخول ولم تقبل تحفهما إلى أن شفع لهما الأئمة والقضاة عند السلطان وتوسلوا اليه أن يقابلهما ففعل ثم رجعا بالتشريف والخلع ومن جملة ما رأيت فى مصر أنه إذا أراد أحدهم غرس حديقة يستطيع ذلك فى أى فصل من فصول السنة فإنه يحصل دائما على الشجر الذى يريد
(۱۱۴)

مفاتيح البحث: القتل (۲)، الخوف (۱)، الزوج، الزواج (۱)

صفحه ۰۸۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۵

فيزرعه مثمرا أو بغير ثمر وهناك تجار لذلك يقدمون كل ما يطلب منهم فقد زرعوا الأشجار فى أصص ووضعوها فوق الأسطح وكثير من سقوف بيوتهم حدائق أكثرها مثمر من النارنج والترنج والرمان والتفاح والسفرجل والورد والريحان والزهر فإذا اشترى أحدهم شجرا حمل الحمالون الأصص بالشجر بعد شدها على لوح من خشب ونقلوها إلى حيث يشاء ثم يحفر الزراع الأرض لغرس الشجر إما بكسر الأصص أو بنزع الشجر منها من غير أن يضار الشجر بهذا ولم أر هذا النظام فى أى مكان آخر كما أنى لم أسمع به والحق أنه نظام جميل جدا العودة إلى خراسان عن طريق الصعيد الأعلى وبلاد العرب والعراق والآن أعود إلى وطنى من مصر عن طريق مكة حرسها الله تعالى من الآفات أقول أديت صلاة العيد فى القاهرة وغادرت مصر فى سفينة يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة (۱۰ ابريل ۱۰۵۰) واتجهنا نحو الصعيد الأعلى وهو ولاية مصرية فى الجنوب يأتى منها ماء النيل إلى مصر وأكثر رغدها منه وهناك على ضفتى النيل كثير من المدن والقرى يطول وصفها وقد بلغنا مدينة تسمى أسيوط يزرع فيها

الأفیون وهو الخشخاش وحبه أسود حین تنمو الشجرة تکسر ویربط کیس فی موضع الکسر فیخرج منه عصیر یشبه اللبن فیجمعونه ویحفظونه وهو الأفیون وبذور هذا الخشخاش صغیرة مثل الکمون وینسجون فی أسیوط عمائم من صوف

(۱۱۵)

مفاتیح البحث: دولة العراق (۱)، شهر ذی الحجة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، خراسان (۱)، الصّلاة (۱)، السفینة (۱)

صفحه ۰۸۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۶

الخراف لا مثیل لها فی العالم والصوف الدقیق الذی یصدر إلی بلاد العجم والمسمی الصوف المصری کله من الصعید الأعلی لأنهم لا ینتجون الصوف بمدینة مصر نفسها وقد رأیت فی أسیوط فوطة من صوف الغنم لم أر مثلها فی لهاور أو ملتان وهی من الرقة بحیث تحسبها حریرا ومن هناک بلغنا مدینة تسمی قوص رأیت فیها أبنیة عظیمة من الحجارة تبعث علی العجب فی نفس من یراها وهی مدینة قدیمة محاطة بسور من الحجر وأکثر أبنیتها من الحجارة الکبیرة التی یزن الواحد منها عشرین أو ثلاثین ألف من والعجیب أنه لیس علی مسافة عشرة أو خمسة عشر فرسخا منها جبل أو محجر فمن أین وکیف نقلوا هذه الحجارة ومن قوص بلغت مدینة تسمی إخمیم وهی مدینة واسعة عامرة رجالها أشداء لها سور حصین وبها نخل وبساتین کثیرة وقد أقمت بها عشرین یوما وفی هذه الجهة طریقان أحدهما صحراوی لا ماء فیه والثانی طریق النیل وقد ترددنا أی الطریقین نسلک وأخیرا سرنا فی طریق النیل وبلغنا مدینة أسوان عند الجانب الجنوبی من أسوان جبل یخرج من وسطه النیل ویقال إن السفن لا تستطیع المضی فی النیل وراء هذا الجبل لأن الماء هناک ینحدر من شلالات عظیمة وعلی مسافة أربعة فراسخ من هذه المدینة طریق ولایة النوبة وهی ولایة أهلها جمیعا نصاری ویرسل ملوکها من قدیم الهدایا لسلطان مصر وبین البلدین عهود ومواثیق فلا یذهب جیش السلطان هناک ولا یؤذی أهلها ومدینة أسوان محصنة جدا بحیث لا یستطیع أحد أن یقصدها من النوبة وبها جیش دائم للمحافظة علیها وعلی ولایتها ویقابل المدینة جزیرة وسط النیل کأنها حدیقة فیها نخل وزیتون وأشجار أخری

(۱۱۶)

مفاتیح البحث: الوسعة (۱)

صفحه ۰۸۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۷

وزرع کثیر ویروی زرعها بالسواقی وقد لبثت بها واحدا وعشرین یوما وکان أمامنا حتی شاطئ البحر صحراء فسیحة طولها أکثر من مائتی فرسخ وکان حینذاک الموسم الذی یعود فیه الحجاج علی الجمال فانتظرناهم لنستأجرها ونذهب بها وهی راجعة وکنت عرفت وأنا فی أسوان رجلا تقیا صالحا یعرف شیئا من علم المنطق اسمه عبد الله محمد بن فلیج وقد عاوننی فی اکتراء الجمل واختیار الرفیق وغیر ذلک وقد استأجرت جملا بدینار ونصف دینار ورحلت عن هذا البلد فی الخامس من ربیع الأول سنة اثنتین وأربعین وأربعمائة (۲۹ یولیو ۱۰۵۰) وکان الطریق یتجه نحو الجنوب بعد ثمانیة فراسخ من رحلتنا بلغنا جهة تسمی ضیقة وهی واد فی الصحراء علی جانبیه حائطان من الجبال وسعته مائة ذراع وقد حفر فیه بئر یخرج منه ماء کثیر ولکنه لیس عذبا وبعد أن ترکنا ضیقة سرنا خمسة أیام فی صحراء لا ماء فیها وکان مع کل منا قربة ماء ثم بلغنا منزلا یسمی الحوض وهو جبل حجری فیه عینان یتفجر منهما ماء عذب یستقر فی حفرة ولم یکن بد من أن یذهب رجل إلی حیث العینان لیحضر الماء لشرب الإبل التی مضی علیها سبعة أیام لم تشرب فیها ولم تأکل إذ أن علفها قد نفد کله وکانت تستریح مرة فی الأربع وعشرین ساعة وذلک من الوقت الذی تشتد فیه حرارة الشمس حتی

صلاة العصر وتسير بقية الوقت والمنازل التى ينزلون بها معلومة فليس ممكنا النزول فى أى مكان لتعذر وجود ما توقد به النار أما فى هذه المنازل فإنهم يجدون بعر الإبل فيتخذونه وقودا يطبخون عليه ما تيسر وكأن الإبل تعلم أنها إن أبطأت ماتت عطشا فهى تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد متجهة من تلقاء نفسها ناحية المشرق فى هذه الصحارى حيث لا أثر أو علامة تدل على الطريق وهناك أمكنة يقل فيها الماء مسافة خمسة عشر فرسخا ويكون ملحا وأمكنة لا يوجد فيها ماء قط مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخا

(۱۱۷)

مفاتيح البحث: يوم عرفة (۱)، شهر ربيع الأول (۱)، الإختيار، الخيار (۱)، الصّلاة (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۸۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۸

وفى العشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أغسطس ۱۰۵۰ بلغنا مدينة عيذاب ومن أسوان حتى عيذاب التى بلغناها بعد خمسة عشر يوما مائتا فرسخ بالتحديد ومدينة عيذاب هذه تقع على شاطئ البحر وبها مسجد جمعة وسكانها خمسمائة وهى تابعة لسلطان مصر وفيها تحصل المكوس على ما فى السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن ومنها تنقل البضائع على الإبل إلى أسوان فى هذه الصحراء التى اجتزناها ومن هناك تنقل بالسفن إلى مصر فى النيل وعلى يمين عيذاب ناحية القبلة جبل من خلفه صحراء عظيمة بها مراع واسعة وخلق كثيرون يسمون البجة وهم قوم لا ـ دين لهم ولا ـ ملة لا يؤمنون بنبى أو إمام وذلك لبعدهم عن العمران وهم يسكنون الصحراء طولها أكثر من ألف فرسخ وعرضها ثلاثمائة فرسخ وليس فى هذه المسافة الشاسعة سوى مدينتين صغيرتين تسمى الأولى بحر النعام والثانية عيذاب وتمتد هذه الصحراء من مصر إلى الحبشة وذلك من الشمال إلى الجنوب وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب إلى الشرق ويقيم بها البجة وهم ليسوا أشرار فهم لا يسرقون ولا يغيرون بل يشتغلون بتربية ماشيتهم ويسرق المسلمون وغيرهم أبناءهم ويحملونهم إلى المدن الإسلامية ليبيعوهم فيها وبحر القلزم هذا خليج يتفرع من المحيط عند ولاية عدن ويسير شمالا حتى مدينة القلزم الصغيرة ويسمى هذا البحر بكل مدينة تقع عليه فمرة يسمى القلزم ومرة عيذاب ومرة بحر النعام وقيل إن به أكثر من ثلاثمائة جزيرة تأتى السفن منها محملة بالزيت والكشك وقيل إن هناك بقرا وخرافا كثيرة والناس هناك مسلمون بعضهم تابع لمصر وبعضهم لليمن وليس

(۱۱۸)

مفاتيح البحث: شهر ربيع الأول (۱)، السجود (۱)، الوسعة (۱)

صفحه ۰۸۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۱۹

فى مدينة عيذاب الصغيرة غير ماء المطر فلا بئر فيها ولا عين فإذا لم تمطر السماء أحضر البجة الماء وباعوه وقد بقينا هناك ثلاثة أشهر وكنا نشترى قربة الماء بدرهم أو بدرهمين وسبب بقائنا هذه المدة أن السفينة لم تقلع إذ كانت الريح شمالية وكان ينبغى لرحلتنا ريح الجنوب وحينما رآنى الناس طلبوا إلى أن أكون خطيبهم فلم أردهم وخطبت لهم تلك المدة حتى أتى الموسم ثم سارت السفينة شمالا إلى أن بلغنا جدة ويقال إن الجمال النجيبة لا توجد فى مكان آخر غير هذه الصحراء وهى تنقل منها إلى مصر والحجاز وقد حكى لى رجل أعتمد على قوله من مدينة عيذاب قال كنت فى سفينة محملة بالجمال لأمير مكة فمات جمل منها فرموه فى البحر فابتلعته سمكة فى الحال ولم يبق خارج فمها غير رجله فجاءت سمكة أخرى وابتلعت هذه السمكة بالجمل ولم يظهر عليها أى أثر من ذلك ويسمى هذا السمك بالقرش ورأيت فى هذه المدينة جلد سمك يسمونه فى خراسان الشفق ويظنون انه نوع من الضب ولكنى

رأيت فى عيذاب أنه سمك وله كل ما للسمك من زعانف حينما كنت فى أسوان كان لى صديق ذكرت اسمه قبلا وهو أبو عبد الله محمد بن فليج فلما ذهبت من هناك إلى عيذاب كتب من إخلاصه لى لوكيله بها كتابا يقول فيه إعط ناصرا ما يريد وهو يعطيك صكا للحساب فلما بقيت بها ثلاثة أشهر وأنفقت ما معى اضطررت أن أعطى هذه الورقة للوكيل فأكرمنى وقال إن له والله لدى أشياء كثيرة وإنى معطيك ما تريد وأعطنى صكا به فتعجبت من حسن صنع هذا الرجل محمد ابن فليج الذى أظهر كل هذه الطيبة بغير سابقة منى اليه ولو كنت رجلا دنيئا واستحللت لنفسى أن آخذ لأخذت بهذه الورقة أشياء كثيرة وقد أخذت

(۱۱۹)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، أبو عبد الله (۱)، خراسان (۱)، السفينة (۳)

صفحه ۸۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۰

منه مائة من من الدقيق وهو مقدار كبير هناك وأعطيته صكا به أرسله إلى أسوان وقبل رحيلى من عيذاب ورد خطاب من محمد فليج لوكيله يقول فيه أعط ناصرا كل ما يريد مهما تكن قيمته مما لى عندك وإذا أراد فأعطه من مالك وأنا أعطيك عوضا عنه فقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه المؤمن لا يكون محتشما ولا مغتنما وقد كتبت هذا الخبر حتى يعرف القارئ أن الرجل يعتمد على الرجل وان الكرم فى كل مكان وأن أهله كانوا وسيكونون دائما وصف بلاد العرب جدة وجدة مدينة كبيرة لها سور حصين تقع على شاطئ البحر وبها خمسة آلاف رجل وهى شمال البحر (الأحمر) وفيها أسواق جميلة وقبلة مسجدها الجامع ناحية المشرق وليس بخارجها عمارات أبدا عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها بوابتان إحداهما شرقية تؤدى إلى مكة والثانية غربية تؤدى إلى البحر ويبلغ السائر من جدة جنوبا على شاطئ البحر اليمن ومدينة صعدة والمسافة إلى هناك خمسون فرسخا وإذا سار شمالا بلغ الجار وهى تابعة للحجاز وليس فى جدة شجر ولا زرع وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى وبينها وبين مكة إثنا عشر فرسخا وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالى بن أبى الفتوح الذى هو أمير المدينة أيضا وقد ذهبت إلى أمير جدة فأكرم وفادتى وأعفانى مما كان يجب على

(۱۲۰)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۱)، مدينة مكة المكرمة (۳)، السجود (۳)، الكرم، الكرامة (۱)

صفحه ۹۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۱

من المكس ولم يطلبه وهكذا خرجت من البوابة فى سلام وقد كتب إلى مكة يقول عنى هذا رجل عالم فلا يجوز أن يؤخذ منه وفى يوم الجمعة بعد صلاة العصر قمت من جدة فبلغت باب مكة يوم الأحد سلخ جمادى الثانى وكان قد حضر إلى مكة للعمرة خلق كثيرون من نواحى الحجاز واليمن فى أول رجب وهو موسم عظيم مثل عيد رمضان وهم يحضرون وقت الحج ولأن طريقهم قريب وسهل يأتون إلى مكة ثلاث مرات كل سنة وصف مكة تقع مكة بين جبال عالية ولا ترى من بعيد من أى جانب يقصدها السائر وأقرب جبل منها هو جبل أبى قبيس وهو مستدير كالقبة لو رمى سهم من أسفله لبلغ قمته وهو شرقى مكة فترى الشمس من داخل المسجد الحرام وهى تشرق من فوقه فى شهر دى (ديسمبر) وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال إن إبراهيم عليه السلام رفعه عليه وتشغل هذه المدينة الوادى الذى بين الجبال والذى لا تزيد مساحته عن رمية سهمين فى مثلها والمسجد الحرام وسط هذا الوادى ومن

حوله مكة والشوارع والأسواق وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوى وضعت عليه بوابة وليس بمكة شجر أبدا إلا عند باب الغربى للمسجد الحرام المسمى باب إبراهيم حيث يوجد كثير من الشجر الكبير الذى يرتفع على حافة البئر وعند الجانب الشرقى للمسجد سوق تمتد من الجنوب إلى الشمال وفى

(۱۲۱)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، شهر جمادى الثانية (۱)، مدينة مكة المكرمة (۹)، شهر رجب المرجب (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، مسجد الحرام (۳)، الحج (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۱)، الجواز (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

صفحه ۰۹۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۲

أولها ناحية الجنوب جبل أبى قبيس الذى تقع الصفا على سفحه وتبدو على هذا السفح درجات كبيرة من الحجارة المستوية التى يصعد الحجاج عليها ويدعون ربهم والمروة فى نهاية السوق شمالى الجبل وهى أقل ارتفاعا فى وسط مكة وقد شيدت عليها منازل كثيرة وما يسمى السعى بين الصفا والمروة هو المسعى فى هذه السوق من أولها لآخرها ويجد من يرغب العمرة وهو آت من بعيد أبراجا ومساجد على مسافة نصف فرسخ حول مكة فيحرم منها للعمرة والإحرام هو نزع الملابس المخيطة من على الجسد وشد المحرم وسطه بإزار ولف جسده بإزار أو وشاح آخر وصياحه بصوت عال أن لبيك اللهم لبيك ثم يسير نحو مكة فإذا أراد حاج أن يعتمر وهو بمكة فإنه يذهب إلى تلك الأبراج ويرتدى ثوب الإحرام ويهتف لبيك ويدخل مكة بنية العمرة فحين يبلغ مكة يدخل المسجد الحرام ويسير نحو الكعبة ثم يطوف ناحية اليمين بحيث تكون هذه على يساره ويتوجه إلى الركن الذى به الحجر الأسود فيقبله ثم يمضى ويستمر فى الطواف حتى يعود إلى الحجر الأسود مرة أخرى فيقبله وبهذا يكون قد أتم طوفة واحدة وعلى هذا النحو يطوف سبع مرات ثلاثا منها بسرعة وأربعا على مهل وبعد إتمام الطواف يتوجه نحو مقام إبراهيم عليه السلام وهو أمام الكعبة فيقف خلفه بحيث يكون المقام بينه وبين الكعبة وهناك يصلى ركعتين هما صلاة الطواف ثم يذهب إلى حيث بئر زمزم فيشرب من مائها أو يمسح بها وجهه ثم يخرج من المسجد الحرام من باب الصفا الذى سمى كذلك لأن جبل الصفا يقع خارجه فيصعد على عتبات الصفا موليا وجهه شطر مكة ويدعو بالدعاء المعلوم ثم ينزل ويتجه ناحية المروة مارا بالسوق التى يسير فيها من الجنوب إلى الشمال وعليه أن ينظر إلى أبواب الحرام حين يمر بها وأن يحث الخطى فى المسافة التى سعاها الرسول عليه الصلاة والسلام مسرعا والتى أمر الناس باجتيازها مسرعين وهى خمسون خطوة وعلى طرفى هذا الموضع (الذى يسار فيه بسرعة) أربع منارات على الجانبين فإذا بلغ الحاج الآتى من

(۱۲۲)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، مدينة مكة المكرمة (۷)، الحجر الأسود (۲)، مسجد الحرام (۲)، الطواف، الطوف، الطائفة (۵)، الركوع، الركعة (۱)، الصّلاة (۲)، الحج (۱)

صفحه ۰۹۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۳

الصفا ما بين المنارتين الأوليين أسرع حتى يصل إلى ما بين المنارتين الثانيتين ثم يسير الهوينى حتى يبلغ المروة فيصعد عتباتها ويدعو ذلك الدعاء المعلوم وهكذا يكرر هذا السعى فى السوق بحيث يسعى من الصفا إلى المروة أربع مرات ومن المروة إلى الصفا ثلاث مرات فيكون قد سعى فى هذه السوق سبع مرات وعندما ينزل الحاج من جبل المروة يجد سوقا فيها عشرون دكانا متقابلة يشغلها

جمیعا حجامون لحلق شعر الرأس وحین یتم الحاج شعائر العمرة ویخرج من المسجد الحرام یدخل السوق الکبیرة التی تقع ناحیة الشرق والمسماة سوق العطارین وهی سوق جمیلة البنایات وکلها عطارون وبمکة حمامان بلاطهما من الحجر الأخضر السنان وقدرت أن سکانها القاطنین بها لا یزیدون علی ألفین والباقی ویقربون من الخمسمائة من الغرباء والمجاورین وفی ذلک الوقت کان بمکة قحط فکان الستة عشر منا من القمح بدینار مغربی وقد هاجر منها کثیرون وقد کان لأهالی کل مدینة من خراسان وما وراء النهر والعراق وغیرها منازل بمکة ولکن أغلبها کان خرابا وقتذاک وقد بنی بها خلفاء بغداد عمارات کثیرة وأبنیة جمیلة وکان بعضها وأنا هناک خربا والبعض الآخر اشتراه الناس (أصبح ملکا خاصا) وماء آبار مکة مالح ومر لا یساغ شربه ولکن بها کثیرا من الأحواض والمصانع الکبیرة بلغت تکالیف الواحد منها أکثر من عشرة آلاف دینار وهی تملأ من ماء الأمطار الذی یتدفق من الأودیة وکانت فارغة ونحن هناک وقد أنشأ ابن أحد أمراء عدن مجری للماء تحت الأرض وأنفق علیه أموالا کثیرة یسقی منه ما علی حافتیه من شجر فی عرفات وقد حبس هذا الماء هناک حیث غرست الحدائق فلا یصل (قرب) مکة منه إلا القلیل لأن القناة لا تبلغها وهذا القلیل یجمع فی حوض خارج مکة فیأخذ منه

(۱۲۳)

مفاتیح البحث: دولة العراق (۱)، مدینة مکة المکرمة (۵)، مدینة بغداد (۱)، مسجد الحرام (۱)، خراسان (۱)، الحج (۲)

صفحه ۰۹۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۴

السقاءون ویذهبون به إلیها ویبیعونه وعلی مسافة نصف فرسخ من طریق برقة بئر یسمی بئر الزاهد عنده مسجد جمیل وماء هذا البئر عذب ویحمله السقاءون إلی مکة لبیعه وجو مکة حار جدا وفی آخر بهن القدیم (ینایر فبرایر) رأیت بها الخیار والأترنج والباذنجان وکانت کلها طازجة هذه هی المرة الرابعة التی أزور بها مکة وقد مکثت بها مجاورا من غرة رجب ۴۴۲ (۱۰ نوفمبر ۱۰۵۰) إلی العشرین من ذی الحجة (۳ مایو ۱۰۵۱) وقد أثمر بها العنب فی الخامس عشر من فروردین (مارس أبریل) فأحضر من السواد إلی مکة وبیع فی السوق وکان البطیخ کثیرا فی أول اردیبهشت (ابریل مایو) وکانت الفاکهة متوفرة طول الشتاء فلم تنقطع قط وصف بلاد العرب والیمن وحین یسیر المسافر مرحلة واحدة جنوبی مکة یبلغ ولایة الیمن التی تمتد حتی شاطئ البحر والحجاز والیمن متجاوران ولغتهما العربیة وفی الاصطلاح یقال للیمن حمیر وللحجاز العرب ویحیط البحر البلدین من ثلاث جهات فهما شبه جزیرة یحدها شرقا بحر البصرة وغربا بحر القلزم الذی تقدم أنه خلیج وجنوبا البحر المحیط وطول شبه الجزیرة هذه التی هی الیمن والحجاز من الکوفة إلی عدن أی من الشمال إلی الجنوب خمسمائة فرسخ

(۱۲۴)

مفاتیح البحث: شهر ذی الحجة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۵)، مدینة الکوفة (۱)، شهر رجب المرجب (۱)، مدینة البصرة (۱)، السجود (۱)

صفحه ۰۹۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۵

وعرضها من عمان إلی الجار أی من الشرق إلی الغرب أربعمائة فرسخ وبلاد العرب من الکوفة إلی مکة وبلاد الیمن من مکة إلی عدن وبلاد العرب قلیلة الخصب ویسکن أهلها الصحراء ویملکون الدواب والمواشی ویقیمون فی الخیام وبلاد حمیر (الیمن) ثلاثة أقسام قسم منها یسمی تهامة وهو یمتد علی ساحل القلزم الذی هو غربی تهامة وبه کثیر من المدن والخصب مثل صعدة وزبید وصنعاء

وغیرها وهذه المدن مشیدة فی الصحراء وأمیر هذا القسم عبد حبشی من أبناء شاددل والقسم الثانی من حمیر جبلی یسمی نجدا وبه أماکن مقفرة وأخری شدیدة البرد کما أن به أودیة ضیقة وقلاعا محکمة والقسم الثالث ناحیة المشرق وبه مدن کثیرة منها نجران وعثر وبیشة وغیرها وبهذا القسم طوائف کثیرة لکل منها ملک أو رئیس فلیس له حاکم واحد فإن سکانه عتاة وأغلبهم لصوص وسفاکو دماء وهم کثیرون ومن کل جنس ومساحة هذا القسم مائتا فرسخ فی مائة وخمسین وفی الیمن قصر غمدان بمدینة اسمها صنعاء وقد بقی من أطلال

(۱۲۵)

مفاتیح البحث: مدینة مکة المکرمة (۲)، مدینة الکوفة (۱)

صفحه ۰۹۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۶

کالتل فی وسطها ویقال هناک إن رب هذا القصر کان ملکا علی العالم کله کما یقال إن بهذا التل کنوزا ودفائن کثیرة ولکن أحدا لا یجرؤ علی مد یده إلیها سلطانا کان أو من الرعیة ویصنعون بصنعاء العقیق وهو حجارة تقطع من الجبل وتسوی علی النار فی بواتق محاطة بالرمل ثم تعرض هکذا وسط الرمل لحرارة الشمس وبعد هذا یصقلونها بعجلة وقد رأیت فی مصر سیفا أحضر للسلطان من الیمن مقبضه قطعة واحدة من العقیق الأحمر کأنه یاقوت وصف المسجد الحرام والکعبة قلنا إن الکعبة تقوم وسط المسجد الحرام وإن المسجد الحرام یقوم وسط مکة والمسجد ممتد طولا من الشرق إلی الغرب وعرضا من الشمال إلی الجنوب وسوره لیس قائم الزوایا بل أرکانه مقوسة تمیل إلی الاستدارة وذلک حتی تکون وجوه جمیع المصلین شطر الکعبة فی أی جهة کانوا یصلون بالمسجد وأقصی طول للمسجد من باب إبراهیم إلی باب بنی هاشم أربع وعشرون وأربعمائة ذراع وعرضه من باب الندوة وهو جهة الشمال حتی باب الصفا وهو جهة الجنوب وأقصی اتساعه أربع وثلاثمائة ذراع وبسبب استدارته تبدو ساحة المسجد أضیق فی جهة وأوسع فی جهة أخری وحوله ثلاثة أروقة رفعت أسقفها علی أعمدة من الرخام ووسط هذه الأروقة مربع وعلی طول السقف من ناحیة ساحة المسجد خمسة وأربعون طاقا وعلی عرضه ثلاثة وعشرون وعدد الأعمدة الرخامیة التی فیه أربعة وثمانون وأربعمائة عمود قیل إنها کلها أرسلت من الشام عن طریق البحر بأمر خلفاء بغداد وقیل أنه حین بلغت هذه العمد مکة بلغ ثمن الحبال التی شدت بها إلی السفن والعجلات والتی قطعت قطعا ستین ألف دینار مغربی ومن

(۱۲۶)

مفاتیح البحث: المسجد الأقصی (۱)، مدینة مکة المکرمة (۲)، بنو هاشم (۱)، مدینة بغداد (۱)، مسجد الحرام (۳)، الشام (۱)، السجود (۴)، الوسعة (۱)

صفحه ۰۹۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۷

هذه العمد عمود من الرخام الأحمر وضع عند باب الندوة قیل إنه اشتری بوزنه ذهبا ویقدر وزنه بثلاثة آلاف من وللمسجد الحرام ثمانیة عشر بابا علیها طیقان مقامة علی عمد من الرخام وضعت بحیث لا تعوق فتح الأبواب وعلی الجانب الشرقی أربعة أبواب هی من الرکن الشمالی باب النبی وبه ثلاثة طیقان مقفلة وعلی هذا الجانب نفسه عند الطرف الجنوبی (للباب الأول) باب آخر یسمی باب النبی أیضا وبین هذین البابین أکثر من مائة ذراع ولهذا الباب طاقان وفی خارجه سوق العطارین وقد کان منزل النبی علیه السلام فی هذه السوق وکان یدخل من هذا الباب للصلاة فی المسجد فإذا جاوز السائر هذا الباب وجد علی السور الشرقی أیضا باب علی علیه

السلام وهو الباب الذی کان یدخل منه أمیر المؤمنین علی علیه السلام للصلاة بالمسجد وله ثلاثة طیقان فإذا جاوزه یجد عن رکن المسجد منارة أخری یبدأ منها السعی وهی غیر المنارة التی بباب بنی هاشم ومن عندها ینبغی الإسراع فی السعی وهی إحدی المنارات الأربع المذکورة (المنارات الأربع فی طرق السعی) وعلی الحائط الجنوبی الذی هو طول المسجد سبعة أبواب أولها علی الرکن المقوس واسمه باب الدقاقین وله طاقان وغربیه بقلیل باب آخر ذو طاقین یقال له باب الفسانین وبعده بقلیل باب الصفا وله خمسة طیقان أکبرها الطاق الأوسط وعلی کل من جانبیه طاقان صغیران وکان رسول الله علیه السلام یخرج من هذا الباب ویذهب إلی الصفا ویدعو وعتبة

(۱۲۷)

مفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، کتاب فتح الأبواب للسید ابن طاووس (۱)، بنو هاشم (۱)، مسجد الحرام (۱)، السجود (۴)، الصّلاة (۲)

صفحه ۰۹۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۸

الطاق الأوسط مکونة من حجر أبیض کبیر وکان بها حجر أسود وطئه الرسول علیه السلام بقدمه فارتسم نقش القدم المبارک علیه وقد نزع هذا الجزء من الحجر الأسود ورکب فی الحجر الأبیض بحیث تکون أطراف أصابع القدم داخل المسجد ویضع بعض الحجاج وجوههم علی هذا الحجر وبعضهم یضعون أقدامهم تبرکا وأعرف أن الأفضل أن أضع وجهی وبعد هذا الباب بقلیل ناحیة المغرب باب السطوی وله طاقان ثم من بعده بقلیل باب التمارین وله طاقان ثم باب المعامل وله طاقان ویقابله بیت أبی جهل وهو الآن مرحاض وعلی الحائط الغربی وهی عرض المسجد ثلاثة أبواب الأول عند الرکن الجنوبی واسمه باب عروة وله طاقان وفی الوسط باب إبراهیم وله ثلاثة طیقا وعلی الحائط الشمالی وهی طول المسجد أربعة أبواب ففی الرکن الغربی باب الوسیط وله طاق واحد ومن بعده ناحیة المشرق باب العجلة وله طاق واحد ومن بعده فی الوسط باب الندوة وله طاقان ثم باب المشاورة وله طاق واحد وعند زاویة المسجد فی الشمال الشرقی باب یسمی باب بنی شیبة والکعبة فی وسط ساحة المسجد وهی مستطیل طوله من الشمال إلی

(۱۲۸)

مفاتیح البحث: بنو شیبة (۱)، الحجر الأسود (۱)، السجود (۵)

صفحه ۰۹۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۲۹

الجنوب ثلاثون ذراعا وعرضه من الشرق إلی الغرب ست عشرة ذراعا وبابها شرقی بحیث یکون الرکن العراقی علی یمین الداخل ورکن الحجر الأسود علی یساره ویسمی رکنها الجنوبی الغربی بالرکن الیمانی ورکنها الشمالی الغربی بالرکن الشامی والحجر الأسود مرکب علی زاویة الحائط فی حجر کبیر بحیث إذا وقف رجل طویل القامة یکون مقابلا لصدره وطول هذا الحجر شبر أربعة أصابع وعرضه ثمانیة أصابع وهو مستدیر الشکل وبینه وبین باب الکعبة أربع أذرع ویسمی ما بینهما الملتزم ویرتفع باب الکعبة عن الأرض أربع أذرع بحیث إذا وقف رجل مدید القامة علی الأرض یصل إلی عتبته وقد صنع سلم من الخشب یضعونه وقت الحاجة أمام الباب فیصعد علیه الناس ویدخلون الکعبة ویسع عرض هذا السلم عشرة رجال یصعدون وینزلون بعضهم بجانب بعض وأرض الکعبة عالیة بهذا المقدار وصف باب الکعبة وهو باب من خشب الساج له مصراعان ارتفاعه ست أذرع ونصف

(۱۲۹)

مفاتیح البحث: الرکن الیمانی (۱)، الحجر الأسود (۲)، دولة العراق (۱)، الحاجة، الإحتیاج (۱)

صفحه ۰۹۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۰

ذراع وعرض کل من مصراعیه ذراع وثلاثة أرباع الذراع فعرضهما معا ثلاث أذرع ونصف وعلی صدر الباب وأعلاه کتابة کما أن علیه دوائر زخرفیة من فضة وکتابات منقوشة بالذهب والفضة وقد کتبت علیه هذه الآیة حتی آخرها * (إن أول بیت وضع للناس للذی ببکة مبارکا وهدی للعالمین) * وله حلقتان کبیرتان من الفضة أرسلتا من غزنین وقد رکبتا فی مصراعیه بحیث لا تصل إلیهما ید إنسان ومن تحتها حلقتان أخریان من الفضة أصغر حجما وموضوعتان بحیث تصل الید إلیهما وفیهما قفل کبیر من الفضة أیضا یقفل به الباب ولا یفتح ما لم ینزع القفل وصف الکعبة من الداخل یبلغ سمک حائطها ستة أشبار وأرضها مغطاة بالرخام الأبیض وبالکعبة ثلاث خلوات صغیرة کأنها دکاکین إحداها تقابل الباب والأخریان علی الجانب الشمالی والأعمدة التی بالکعبة والتی أقیم علیها السقف کلها من خشب الساج المربع إلا عمودا واحدا مدورا وفی الجانب الشمالی قطعة مستطیلة من الرخام الأحمر یقال إن الرسول علیه الصلاة والسلام کان یصلی علیها ویجتهد کل من یعرف ذلک أن یصلی هناک وقد غطیت حوائط الکعبة بألواح الرخام الملون وعلی الجانب الغربی منها ستة محاریب من الفضة ألصقت بالحائط بمسامیر ویبلغ ارتفاع کل منها قامة الرجل وهی مزینة بنقوش کثیرة من الذهب والفضة وهی مرتفعة عن الأرض وحوائط الکعبة الأربعة حتی أربعة أذرع من الأرض خالیة من النقوش وأما بعد ذلک إلی السقف فمزینة بالرخام المنقوش والموشی أغلبه بالذهب

(۱۳۰)

مفاتیح البحث: الصّلاة (۱)

صفحه ۱۰۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۱

وفوق کل من الخلوات الثلاث التی ذکرتها والتی توجد إحداها فی الرکن العراقی والأخری فی الرکن الشامی والثالثة فی الرکن الیمانی فوق کل رکن منها لوحان من الخشب مثبتان علی الحائط بمسامیر من فضة وهی ألواح من خشب سفینة نوح علیه السلام طول کل منها خمس أذرع وعرضه ذراع واحد وقد أسدل علی الخلوة التی خلف الحجر الأسود ستار من الدیباج الأحمر وحین یدخل السائر فی الکعبة یجد علی الید الیمنی زاویة مربعة بمقدار ثلاث أذرع فی مثلها وهناک سلم یؤدی إلی سطح الکعبة علیه باب من الفضة له مصراع واحد یسمی باب الرحمة وعلیه قفل من الفضة فإذا صار فوق سطح الکعبة یجد بابا آخر مثل الباب السابق منقوش بالفضة علی وجهیه وقد غطی سقف الکعبة بالخشب المغطی بالحریر الذی یحجبه عن الأنظار وعلی حائط الکعبة الأمامی فوق العمد الخشبیة کتابة ذهبیة فیها اسم العزیز بالله سلطان مصر الذی استولی علی مکة من الخلفاء العباسین وعلی الحائط أربعة ألواح أخری کبیرة من الفضة متقابلة ومثبتة بمسامیر من فضة وعلی کل لوح منها اسم السلطان الذی أرسله من سلاطین مصر وکان کل منهم یرسل لوحا فی عهده وبین الأعمدة ثلاثة قنادیل فضیة معلقة وبلاط سطح الکعبة من الرخام الیمنی الذی یلمع کأنه البلور وفی أرکانها أربع روازن علی کل منها لوح من الزجاج لینفذ منه النور ولمنع تسرب المطر والمیزاب فی وسط الحائط الشمالی وطوله ثلاث أذرع وکله مطلی بالذهب والکسوة التی تغطی بها الکعبة بیضاء وقد طرزت فی موضعین عرض کل منها ذراع وبینهما عشر أذرع تقریبا ومن فوقهما وتحتهما عشر أذرع أیضا بحیث ینقسم ارتفاع الکعبة إلی ثلاثة أقسام کل منها عشر أذرع بواسطة طرازی الکسوة وعلی جوانب هذه الکسوة الأربعة نسجت محاریب

(۱۳۱)

مفاتیح البحث: النبی نوح علیه السلام (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، الرکن الیمانی (۱)، الحجر الأسود (۱)، العزّة (۱)، دولة العراق (۱)، السفینة (۱)

صفحه ۱۰۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۲

ملونة مزینة بخیوط من ذهب وعلی کل ناحیة ثلاثة محاریب محراب کبیر فی الوسط ومحرابان صغیران علی جانبیه فعلی النواحی الأربعة إثنا عشر محرابا وخارج الکعبة حائط علوه ذراع ونصف وتتصل نهایتهاه برکنی الکعبة لأن هذا الحائط مقوس کنصف الدائرة وهو یبعد من منتصفه عن الکعبة مقدار خمس عشرة ذراعا وأرض هذا الموضع مبلطة بالرخام الملون المنقوش ویسمی الحجر وبه یصب ماء المیزاب الذی فوق الکعبة وقد وضع تحته قطعة من الحجر الأخضر علی شکل محراب یسقط علیها الماء وهی کبیرة بحیث یستطیع رجل أن یصلی علیها ومقام إبراهیم علیه السلام شرقی الکعبة وهو الحجر الذی به آثار قدمی إبراهیم علیه السلام وهو مرکب فی حجر آخر وعلیه غلاف مربع من الخشب بارتفاع قامة الرجل وهو فی غایة الدقة ووضعت علیه ألواح من الفضة وقد أحکم ربط الغلاف بالحائط بسلاسل من الجانبین وعلیه قفلان وذلک حتی لا یستطیع أحد أن یلمس الحجر وبین الکعبة ومقام إبراهیم ثلاثون ذراعا بئر زمزم بئر زمزم شرقی الکعبة حذاء رکن الحجر الأسود وبین زمزم والکعبة ست وأربعون ذراعا وسعة البئر ثلاث أذرع ونصف فی مثلها

(۱۳۲)

مفاتیح البحث: النبی إبراهیم (ع) (۲)، الحجر الأسود (۱)

صفحه ۱۰۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۳

وماؤها ملح ولکنه یستساغ وقد بنوا عند فوهتها خرزة من الرخام الأبیض ارتفاعه ذراعان وفی جوانب حجرة زمزم الأربعة أحواض یصب فیها الماء ویتوضأ الناس به وأرضها من الخشب المشبک لیسیل الماء الذی یراق بها وبابها ناحیة المشرق وأمام البئر ناحیة المشرق بناء آخر مربع علیه قبة یسمی سقایة الحاج وضع به أزیار یشرب منها الحجاج وبعد هذا البناء ناحیة الشرق بناء آخر مستطیل علیه ثلاث قباب یسمی خزانة الزیت به الشمع والزیت والقنادیل وحول الکعبة أعمدة یتصل بعضها بالبعض بواسطة عروق من الخشب علیها زخارف ونقوش من الفضة ومعلق بها الحلق والکلابات حتی یوضع الشمع فی هذه وتدلی المصابیح من تلک باللیل ویسمی هذا الموضع المشاعل ویفصله عن الکعبة خمسون ومائة ذراع وهی مسافة الطواف فجملة المبانی التی بساحة المسجد الحرام عدا الکعبة المعظمة شرفها الله تعالی ثلاثة هی بیت زمزم وسقایة الحاج وخزانة الزیت

(۱۳۳)

مفاتیح البحث: مسجد الحرام (۱)، الحلق (۱)، الحج (۲)

صفحه ۱۰۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۴

وتحت السقف المحیط بالمسجد بجانب الحائط صنادیق من جمیع مدن المغرب ومصر والشام والروم والعراقین وخراسان وما وراء

النهر وغيرها وعلى مسافة أربعة فراسخ شمالى مكة ناحية تسمى برقة بها أمير مكة مع جيش خاص به وهناك ماء جار وأشجار ومساحتها فرسخان طولا فى مثلهما عرضا فى هذه السنة كنت بمكة مجاورا منذ أول رجب وعادتهم أن يفتحوا باب الكعبة كل يوم فى هذا الشهر منذ شروق الشمس وصف فتح باب الكعبة امتازت قبيلة من العرب تسمى بنى شيبة بحفظ مفتاح باب الكعبة وهم خدمها وكان لهم خلع ومشاهرات من سلطان مصر ولهم رئيس بيده المفتاح وحين يجىء يصاحبه خمسة أو ستة أفراد وحين يصلون ينضم إليهم عشرة من الحجاج فيرفعون السلم الذى قدمنا وصفه ويضعونه أمام الباب فيصعد هذا الشيخ ويقف على العتبة ويصعد بعده رجلان ويرفعان الستار والديباج الأصفر يمسك كل منهما طرفا منه بحيث يحجب الشيخ وهو يفتح الباب يفتح الشيخ القفل وينزعه من الحلق بينما الحجاج وقوف أمام الكعبة فحين يفتح الباب يرفعون أيديهم بالدعاء فيعرف كل من يسمع صوتهم بمكة أن باب الكعبة قد فتح فيرفع الناس جميعا أصواتهم عالية ويدعون ربهم وتحدث جلجلة عظيمة بالبلد ثم يدخل الشيخ بينما الرجلان يمسكان الستار ويصلى ركعتين ثم يعود فيفتح الباب على مصراعيه ويقف على العتبة ويقرأ الخطبة عليهم بصوت مرتفع ويصلى على رسول الله عليه الصلوات والسلام وعلى أهل بيته ثم يقف الشيخ وأصحابه على جانبى باب الكعبة بينما يأخذ الحجاج فى الصعود ودخول الكعبة فيصلى كل منهم

(۱۳۴)

مفاتيح البحث: الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة مكة المكرمة (۴)، شهر رجب المرجب (۱)، بنو شيبة (۱)، خراسان (۱)، الشام (۱)، الركوع، الركعة (۱)، الحلق (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۲)

صفحه ۱۰۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۵

ركعتين ثم يخرج ويدوم ذلك إلى قرب منتصف النهار ويولون وجوههم أثناء صلاتهم بالكعبة نحو الباب مع جواز التوجه نحو الجوانب الأخرى وقد أحصيت الناس فى وقت كانت الكعبة ممتلئة فيه حتى لم يكن بها مكان لداخل فكانوا عشرين وسبعمائة رجل وعامة حجاج اليمن يشبهون الهنود فكل منهم يتشح بفوطه وشعورهم متدلية ولحاهم مضفرة وفى وسط كل منهم حربة قطيفية كالتى يتمنطق بها الهنود ويقال إن أصل الهنود من اليمن وأن قتالة أصلها كتارة (الحربة) ثم عربت وبفتح باب الكعبة أيام الاثنين والخميس والجمعة من أشهر شعبان ورمضان وشوال فإذا جاء ذو القعدة أغلق الباب عمرة الجعرانة على أربعة فراسخ من شمال مكة مكان يسمى الجعرانة كان به النبى عليه السلام مع جيشه فى السادس عشر من ذى القعدة فأحرم منه وجاء إلى مكة وأعتمر وهناك بئران بئر الرسول وبئر على بن أبى طالب صلوات الله عليهما وماء البئرين عذب جدا وبينهما عشر أذرع وقد اتخذت هذه العمرة النبوية سنة تؤدى فى هذا الموسم وقرب البئرين صخرة كبيرة فيها فجوات كأنها كؤوس يقال إن النبى عليه السلام عجن الدقيق فيها بيديه والذين يزورون هذا المكان يعجنون الدقيق بأيديهم بماء هذين البئرين ويتخذون من الأشجار الكثيرة هناك وقودا للخبز الذى يرسلونه إلى الأقطار تبركا وهناك أيضا صخرة كبيرة مرتفعة يقال إن بلالا الحبشى كان يقف عليها ويؤذن للصلاة ويصعد عليها الزائرون ويؤذنون وحين كنت بالجعرانة كان بها ناس كثيرون وكان بها أكثر من ألف جمل بالعمارات مما يبين كثرة الزائرين الآخرين

(۱۳۵)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، شهر ذى القعدة (۲)، مدينة مكة المكرمة (۲)، شهر رمضان المبارك (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، شهر شوال المكرم (۱)، الركوع، الركعة (۱)، الأكل (۱)، الصّلاة (۱)، الجواز (۱)

صفحه ۱۰۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۶

ومن مصر إلى مكة عن الطريق الذى سرت فيه هذه المرة ثلاثمائة فرسخ ومن مكة إلى اليمن إثنا عشر فرسخا وتقع صحراء عرفات بين جبال صغيرة كالتلال ومساحتها فرسخان فى مثلهما وكان بها مسجد بناء إبراهيم عليه السلام لم يبق منه هذه الساعة غير منبر خرب من الطوب النيئ يصعد عليه الخطيب فى صلاة الظهر ويخطب ثم يؤذنون للصلاة ثم يصلون جماعة ركعتين سنة المسافرين ثم يقيمون الصلاة ويصلون جماعة ركعتين أخريين ثم يجلس الخطيب على جمل ويتجه شرقا والناس وراءه وعلى بعد فرسخ جبل حجرى صغير يسمى جبل الرحمة هناك يقفون ويدعون حتى وقت الغروب وقد أوصل ابن شاد دل الذى كان أميرا لعدن الماء إلى جبل الرحمة من مكان بعيد وأنفق فى ذلك مالا طائلا ويحمل الماء من هذا الجبل إلى صحراء عرفات حيث عملت أحواض تملأ ماء أيام الحج حتى يتيسر الماء للحجيج وقد بنى هذا الأمير فوق جبل الرحمة طاقا مربعا كبيرا يضعون فوق قبته كثيرا من القناديل والشموع ليلة عرفة ويومه فيرى نورها من مسافة فرسخين وقيل إن أمير مكة أخذ ألف دينار من ابن شادن دل ليجيز له إقامة هذا الطاق فى التاسع من ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (۲۷ ابريل ۱۰۵۱) قضيت الحجة الرابعة بعون الله سبحانه وتعالى ولما غابت الشمس عاد الحجاج والخطيب من عرفات وساروا فرسخا إلى المشعر الحرام ويسمونه المزدلفة وهناك بناء جميل كالمقصورة يصلى فيه الناس ويأخذون منه حجارة الرجم التى يرمونها بمنى والعادة أن يقضى الحجاج هذه الليلة وهى ليلة العيد هناك حيث يصلون الفجر وعند طلوع الشمس يتوجهون إلى منى حيث يضحون وهناك مسجد كبير يسمى مسجد الخيف وليس من المفروض إلقاء خطبة وصلاة

(۱۳۶)

مفاتيح البحث: النبى إبراهيم (ع) (۱)، شهر ذى الحجة (۱)، مدينة مكة المكرمة (۳)، يوم عرفة (۱)، الحج (۱)، الركوع، الركعة (۲)، السجود (۳)، الصّلاة (۳)، الرجم (۱)

صفحه ۱۰۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۷

العيد بمنى فى ذلك اليوم ولم يأمر بهما المصطفى عليه السلام ويكون الحجاج بمنى فى العاشر من ذى الحجة وهناك يرمون الحجارة وشرح ذلك مذكور فى مناسك الحج وفى الثانى عشر من ذى الحجة يغادر منى من عزم على العودة لبلاده ويذهب إلى مكة أهلها إلى الحسا عن طريق الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفلج واليمامة بعد اتمام الحج استأجرت جملا من أعرابى لأذهب إلى الحسا وقيل إنهم يبلغونها من مكة فى ثلاثة عشر يوما وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (۷ مايو ۱۰۵۱) الموافق أول خرداد القديم (مايو يونيو) وقد وجدنا مرجا بعد سبعة فراسخ من مكة عنده جبل ولما بلغناه وجدنا سهلا وقرى وبئرا اسمها بئر الحسين بن سلامة وكان الجو باردا وقد سرنا ناحية المشرق بلغنا الطائف يوم الاثنين الثانى والعشرين من ذى الحجة ومن مكة إلى هناك إثنا عشر فرسخا والطائف ناحية على رأس جبل وكان الجو باردا فى شهر خرداد (مايو يونيو) حتى لزم الجلوس فى الشمس بينما يكثر البطيخ بمكة فى هذا الوقت وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها حصن محكم وسوق وجامع صغيران وبها ماء جار وأشجار رمان وتين كثيرة وبجوارها قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنه وقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجدا كبيرا يقع القبر فى زاويته على يمين المحراب والمنبر وبنى الناس هناك بيوتا يسكنونها سرنا من الطائف واجتزنا جبالا وأراضى صخرية وكنا نجد حيثما سرنا قلاعا محصنة وقرى وقد أرونى وسط الصخور قلعة خربة قيل إنها كانت بيت ليلى وقصتهم فى هذا عجيبة ومن هناك بلغنا قلعة تسمى مطار

(۱۳۷)

مفاتيح البحث: عبد الله بن عباس (۱)، شهر ذى الحجة (۴)، مدينة مكة المكرمة (۵)، مدينة بغداد (۱)، الحج (۲)، القبر (۲)

صفحه ۱۰۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۸

وبينها وبين الطائف إثنا عشر فرسخا ثم بلغنا ناحية تسمى الثريا بها نخيل كثير وتزرع أرضها بمياه الآبار والسواقى قالوا وليس لهذه الناحية حاكم أو سلطان فإن على كل جهة رئيسا أو سيدا مستقلا ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم فى حرب دائم بعضهم مع بعض ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخا وبعد ذلك مررنا بقلعة تسمى جزع وعلى مساحة نصف فرسخ منها أربع قلاع نزلنا عند أكبرها وتسمى حصن بنى نسير وهناك قليل من النخيل وبيت العربى الذى استأجرنا حمله فى الجزع هذه ولبثنا هناك خمسة عشر يوما إذ لم يكن معنا خفير يهدينا الطريق ولكل قوم من عرب هذا المكان ارض محددة ترعى بها ماشيتهم ولا يستطيع أجنبى أن يدخلها فهم يمسكون كل من يدخل بغير خفير ويجردونه مما معه فيلزم استصحاب خفير من كل جماعة حتى يتيسر المرور من أرضهم فهو وقاية للمسافر ويسمونه أيضا مرشد الطريق (قلاوز) وقد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا فى طريقنا وهم بنو سواد واسمه أبو غانم عبس بن

(۱۳۸)

مفاتيح البحث: الحرب (۱)، السرقة (۱)

صفحه ۱۰۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۳۹

البعير فاتخذناه خفيرا وذهبنا معه وقابلنا قومه فظنوا أنهم لقوا صيدا إذ أن كل أجنبى يرونه يسمى صيدا فلما رأوا رئيسهم معنا أسقط فى أيديهم ولولا ذلك لأهلكونا وفى الجملة لبثنا معهم زمنا إذ لم يكن معنا خفير يصحبنا ثم أخذنا من هناك خفيرين أجر كل منهما عشرة دنانير ليسيرا بنا بين قوم آخرين وقد كان من هؤلاء العرب شيوخ فى السبعين من عمرهم قالوا لى إنهم لم يذوقوا شيئا غير لبن الإبل طوال حياتهم إذ ليس فى هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال وكانوا يظنون أن العالم هكذا وظللت أتحول من قوم إلى قوم وأجد فى كل مكان خطرا وخوفا إلا أن الله تبارك وتعالى سلمنا منها وبلغنا مكانا فى وسط أرض ملؤها الصخور يسمى سربا رأيت به جبالا- كل منها كالقبة لم أر مثلها فى أى ولاية وهى من الارتفاع بحيث لا يصل إليها السهم وملساء وصلبة بحيث لا يظهر عليها شق أو التواء وقد سرنا من هناك فكان زملاؤنا فى الطريق كلما رأوا ضبا قتلوه وأكلوه وكانوا يحلبون لبن الجمال حيث وجد الأعراب ولم أكن أستطيع أكل الضب أو شرب لبن الجمال وفى كل جهة فى الطريق بها شجر به ثمر فى حجم حبة السلة كنت أقنع بأكل حبات منها وبعد معاناة مشاق ومتاعب كثيرة بلغنا فلج فى الثالث والعشرين من صفر (۴۳۳ ۱۰۵۱)) فلج ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ وتقع فلج هذه وسط الصحراء وهى ناحية كبيرة ولكنها خربت بالتعصب وكان العمران حين زرناها قاصرا على نصف فرسخ فى ميل عرضا وفى هذه المسافة أربع عشرة قلعة

(۱۳۹)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، الظنّ (۱)، الأكل (۱)

صفحه ۱۰۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۰

للصوص والمفسدين والجهلة وهى مقسمة بين فريقين بينهما خصومة وعداوة دائمة وقد قالوا نحن من أصحاب الرسيم الذين ذكروا

فی القرآن الکریم وهناک أربع قنوات یسقی منها النخیل أما زرعهم ففی أرض عالیة یرفع إلیها معظم الماء من الآبار وهم یستخدمون فی زراعتهم الجمال لا الثیران ولم أرها هناک وزراعتهم قلیلة واجر الرجل فی الیوم عشرة سیرات من غلة یخبزها أرغفة ولا یأکلون إلا قلیلا من صلاة المغرب حتی صلاة المغرب التالیة کما فی رمضان ویأکلون التمر أثناء النهار وقد رأیت هناک تمرا طیبا جدا أحسن مما فی البصرة وغیرها والسکان هناک فقراء جدا وبؤساء ومع فقرهم فإنهم کل یوم فی حرب وعداء وسفک دماء وهناک تمر یسمونه میدون تزن الواحدة منه عشرة دراهم ولا یزیدون وزن النوی به عن دانق ونصف ویقال انه لا یفسد ولو بقی عشرین سنة ومعاملتهم بالذهب النیشابوری وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر فی حالة لیس أصعب منها لم یکن معی من شؤون الدنیا سوی سلتین من الکتب والناس جیاع وعراة وجهلاء ویلتزمون حمل الترس والسیف إذا ذهبوا للصلاة ولا یشترون الکتب وکان هناک مسجدا نزلنا فیه وکان معی قلیل من اللونین القرمزی واللازورد فکتبت علی حائط المسجد بیت شعر ووضعت فی وسطه ورق الشجر فرأوه وتعجبوا وتجمع أهل القلعة کلها لیتفرجوا علیه وقالوا لی إذا تنقش محراب هذا المسجد نعطیک مائة من تمرا ومائة من تمرا عندهم شیء کثیر فقد أتی وأنا هناک جیش من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمرا فلم یقبلوا وحاربوا وقتل من أهل القلعة عشرة رجال وقلعت ألف نخلة ولم یعطوهم عشرة أمنان تمرا وقد نقشت المحراب کما اتفقوا معی وکان لنا فی المائة من من التمر عون کبیر إذ لم یکن میسورا أن نجد

(۱۴۰)

مفاتیح البحث: شهر رمضان المبارک (۱)، القرآن الکریم (۱)، مدینة البصرة (۱)، السجود (۲)، الحرب (۱)، القتل (۱)، الصّلاة (۲)، التمر (۲)

صفحه ۱۱۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۱

غذاء ولم یکن لدینا أمل فی الحیاة ولم نکن نستطیع أن نتصور خروجنا من هذه البادیة إذ کان ینبغی للخروج منها عن أی طریق اجتیاز مائتی فرسخ من الصحراء کلها مخاوف ومهالک ولم أر فی الأشهر الأربعة التی أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح فی أی مکان وأخیرا أتت قافلة من الیمامة لأخذ الأدیم وحمله إلی الحسا فإنه یحصر من الیمن إلی فلج حیث یباع للتجار قال لی أعرابی أنا أحملک إلی البصرة ولم یکن معی شیء قط لأعطیه أجرا والمسافة مائتا فرسخ وأجرة الجمل دینار ویباع الجمل العظیم هناک بدینارین أو ثلاثة ولکنی رحلت نسیئة إذ لم یکن معی نقود فقال الأعرابی أحملک إلی البصرة علی أن تأجرنی ثلاثین دینارا فقبلت مضطرا ولم أکن قد رأیت البصرة قط فوضع هؤلاء الأعراب کتبی علی جمل أرکبوا علیه أخی وسرت أنا راجلا وتوجهنا فی اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأکبر) کان الطریق مستویا لا جبال فیه ولا مرتفعات وکان ماء المطر متجمعا حیثما کانت الأرض أشد صلابة ومضت لیال وأیام ولم یبد فی أی جهة أثر الطریق إلا أنهم کانوا یسیرون بالغریزة (بالسمع) ومن العجیب أنهم کانوا یبلغون فجاة بئر ماء مع عدم وجود أی علامة الیمامة وبالاختصار بلغنا الیمامة بعد مسیرة أربعة أیام بلیالیها وبالیمامة حصن کبیر قدیم والمدینة والسوق حیث صناع من کل نوع یقعان خارج الحصن وبها مسجد جمیل وأمراؤها علویون منذ القدیم ولم ینتزع

(۱۴۱)

مفاتیح البحث: مدینة البصرة (۳)، السجود (۱)

صفحه ۱۱۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۲

أحد هذه الولایة منهم إذ لیس بجوارهم سلطان أو ملک قاهر وهؤلاء العلویون ذوو شوکة فلدیهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس ومذهبهم الزیدیة وهم یقولون فی الإقامة (محمد وعلی خیر البشر وحی علی خیر العمل) وقیل إن سکان هذه المدینة شریفیة (خاضعون للأشراف) وبالنامة میاه جاریة فی القنوات وفیها نخیل وقیل إنه حین یکثر التمر یباع الألف من منه بدینار ومن الیمامة إلی الحسا أربعون فرسخا ولا یتیسر الذهاب إلیها إلا فی فصل الشتاء حین تتجمع میاه المطر فیشرب الناس منها ولا یکون ذلک فی الصیف وصف الأحساء والحسا مدینة فی الصحراء ولبلوغها عن أی طریق ینبغی اجتیاز صحراء واسعة والبصرة أقرب البلاد الإسلامیة التی بها سلطنة إلی الحسا وبینهما خمسون ومائة فرسخ ولم یقصد سلطان من البصرة الحسا أبدا والحسا مدینة وسواد أیضا وبها قلعة ویحیط بها أربعة أسوار قویة متعاقبة من اللبن المحکم البناء بین کل اثنین منها ما یقرب من فرسخ وفی المدینة عیون ماء عظیمة تکفی کل منها لإدارة خمس سواق ویستهلک کل هذا الماء بها فلا یخرج منها ووسط القلعة مدینة جمیلة بها کل وسائل الحیاة التی فی المدن الکبیرة وفیها أکثر من عشرین ألف محارب وقیل إن سلطانهم کان شریفا وقد ردهم عن الإسلام وقال إنی أعفیتکم من الصلاة والصوم ودعاهم إلی أن مرجعهم لا یکون إلا إلیه وأسمه أبو سعید وحین یسألون عن مذهبهم یقولون إنا أبو سعیدیون وهم لا یصلون ولا یصومون ولکنهم یقرون بمحمد المصطفی صلی الله علیه وسلم وبرسالته وقد قال لهم أبو سعید إنی أرجع إلیکم یعنی بعد الوفاة وقبره داخل المدینة وقد

(۱۴۲)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، مدینة البصرة (۱)، الصیام، الصوم (۱)، الصّلاة (۱)، الوسعة (۱)، التمر (۱)

صفحه ۱۱۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۳

بنوا عنده قبرا جمیلا- وقد أوصی أبناءه قائلا- (یرعی الملک ویحافظ علیه ستة من أبنائی یحکمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا یختلفون فیما بینهم حتی أعود) ولهؤلاء الحکام الآن قصر منیف هو دار ملکهم وبه تخت یجلسون هم الستة علیه ویصدرون أوامرهم بالاتفاق وکذلک یحکمون ولهم ستة وزراء علی تخت آخر ویتداولون فی کل أمر وکان لهم فی ذلک الوقت ثلاثون ألف عبد زنجی حبشی یشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتین وهم لا یأخذون عشورا من الرعیة وإذا افتقر إنسان أو استدان یتعهدونه حتی یتیسر عمله وإذا کان لأحدهم دین علی آخر لا یطالبه بأکثر من رأس المال الذی له وکل غریب ینزل فی هذه المدینة وله صناعة یعطی ما یکفیه من المال حتی یشتری ما یلزم صناعته من عدد وآلات ویرد (إلی الحکام) ما أخذ حین یشاء وإذا تخرب بیت أو طاحون أحد الملاک ولم تکن لدیه القدرة علی الإصلاح أمروا جماعة من عبیدهم بأن یذهبوا الیه ویصلحوا المنزل أو الطاحون ولا یطلبون من المالک شیئا وفی الحسا مطاحن مملوکة للسلطان تطحن الحبوب للرعیة مجانا ویدفع فیها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانین وهؤلاء السلاطین الستة یسمون السادات ویسمی وزراؤهم الشائرة ولیس فی مدینة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة أو خطبة إلا أن رجلا فارسیا اسمه علی بن أحمد بنی مسجدا وهو مسلم حاج غنی کان یتعهد الحجاج الذین یبلغون الحسا والبیع والشراء والعطاء والأخذ یتم هناک بواسطة رصاص فی زنابیل یزن کل منها ست آلاف درهم فیدفع الثمن عددا من الزنابیل وهذه العملة لا تسری فی الخارج وینسجون هناک فوطا جمیلة ویصدرونها للبصرة وغیرها وإذا

(۱۴۳)

مفاتیح البحث: علی بن أحمد (۱)، السجود (۱)، الصّلاة (۱)، الوصیة (۱)

صفحه ۱۱۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۴

صلی أحد فإنه لا یمنع ولکنهم أنفسهم لا یصلون ویجیب السلاطین من یحدثهم من الرعیة برقة وتواضع ولا یشربون مطلقا وعلی باب قبر أبی سعید حصان مهیأ بعنایة علیه طوق ولجام یقف بالنوبة لیلا ونهارا یعنون بذلک أن أبا سعید یرکبه حین یرجع إلی الدنیا ویقال إنه قال لأبنائه حین أعود ولا تعرفوننی اضربوا رقبتی بسیفی فإذا کنت أنا حییت فی الحال وقد وضعت هذه الدلالة حتی لا یدعی أحد أنه أبو سعید وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطین بجیش إلی مکة أیام خلفاء بغداد فاستولی علیها وقتل من کان یطوف بالکعبة وانتزع الحجر الأسود من مکانه ونقله إلی الحسا وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطیس یجذب الناس الیه من أطراف العالم ولم یفقهوا أن شرف محمد المصطفی صلی الله علیه وسلم وجلاله هما اللذان یجذبان الناس فقد لبث الحجر الأسود فی الحسا سنین عدیدة ولم یذهب إلیها أحد وأخیرا اشتری منهم الحجر الأسود وأعید إلی مکانه وفی الحسا تباع لحوم الحیوانات کلها من قطط وکلاب وحمیر وبقر وخراف وغیرها وتوضع رأس الحیوان وجلده بقرب لحمه لیعرف المشتری ماذا یشتری وهم یسمنون الکلاب هناک کما تعلف الخراف حتی لا تستطیع الحرکة من سمنها ثم یذبحونها ویبیعون لحمها والبحر علی مسیرة سبعة فراسخ من الحسا إلی ناحیة الشرق فإذا اجتازه المسافر وجد البحرین وهی جزیرة طولها خمسة عشر فرسخا والبحرین مدینة کبیرة أیضا بها نخل کثیر ویستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ ولسلاطین الحسا نصف ما یستخرجه الغواصون منه وإذا سار المسافر جنوب الحسا یبلغ عمان وهی فی بلاد العرب وثلاثة جوانب منها صحراء لا یمکن اجتیازها وولایة عمان ثمانون فرسخا فی مثلها وهی حارة الجو ویکثر بها الجوز الهندی المسمی نارجیل وإذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق

(۱۴۴)

مفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، مدینة بغداد (۱)، الحجر الأسود (۳)، القبر (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، المنع (۱)، القتل (۱)

صفحه ۱۱۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۵

یبلغ شاطئ کیش ومکران وإذا سار جنوبا یبلغ عدن فإذا سار فی الجانب الآخر یبلغ فارس وفی الحسا تمر کثیر حتی أنهم یسمنون به المواشی ویأتی وقت یباع فیه أکثر من ألف من بدینار واحد وحین یسیر المسافر من الحسا إلی الشمال سبعة فراسخ یبلغ جهة القطیف وهی مدینة کبیرة بها نحل کثیر وقد ذهب أمیر عربی إلی أبواب الحسا ورابط هناک سنة واستولی علی سور من أسوارها الأربعة وشن علیها غارات کثیرة ولکنه لم ینل من أهلها شیئا وقد سألنی حین رآنی عما تنبئ به النجوم قال أرید أن أستولی علی الحسا فهل أستطیع أم لا. فإن أهلها قوم لا دین لهم فأجبته بما فیه الخیر له وعندی أن کل البدو یشبهون أهل الحسا فلا دین لهم ومنهم أناس لم یمس الماء أیدیهم مدة سنة أقول هذا عن بصیرة لا شیء فیه من الأراجیف فقد عشت فی وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بینها ولم أکن أستطیع أن أشرب اللبن الذی کانوا یقدمونه إلی کلما طلبت ماء لأشرب فحین أرفضه وأطلب الماء یقولون اطلبه حیثما تراه ولکن عند من تراه وهم لم یروا الحمامات أو الماء الجاری فی حیاتهم وصف فارس البصرة والآن أعود إلی حکایتی حینما غادرنا الحسا إلی البصرة کنا نجد الماء فی بعض الجهات ولا نجده فی أخری حتی بلغنا البصرة فی العشرین من شعبان سنة ثلاث وأربعین وأربعمائة (۲۸ دیسمبر ۱۰۵۱) للبصرة سور عظیم یحیط بها ما عدا

(۱۴۵)

مفاتيح البحث: شهر شعبان المعظم (۱)، مدينة البصرة (۳)

صفحه ۱۱۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۶

الجزع المطل على النهر وهذا النهر هو شط العرب ويلتقى دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة ويلتقى بهما أيضا قناة الموزة فيسمى النهر حينئذ شط العرب ويتفرع من شط العرب هذا قناتان كبيرتان بين منبعهما مسافة فرسخ وقد شقا صوب القبلة مسافة أربعة فراسخ ثم يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير مسافة فرسخ واحد ناحية الجنوب ومن هاتين القناتين شقت ترع كثيرة مدت فى كل الأطراف وغرست أشجار النخيل والحدائق على شواطئها والقناة العليا وهى الشمالية الشرقية تسمى نهر معقل والثانية وهى الغربية الجنوبية تسمى نهر الأبله ومنهما تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة والبصرة على أقصر ضلع من هذا المستطيل والجنوب الغربى للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقا وكان معظم البصرة خرابا ونحن هناك والجهات العامرة متباعدة جدا من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب ولكن بابها وسورها محكمان وقويان وبها خلق كثير ودخل سلطانها كبير كان أميرها فى ذلك الوقت ابن أبى كاليجار الديلمى الذى كان ملك فارس وكان وزيره رجلا فارسيا اسمه أبو منصور شاه مردان وينصب السوق فى البصرة فى ثلاث جهات كل يوم ففى الصباح يجرى التبادل فى سوق خزاعة وفى الظهر فى سوق عثمان وفى المغرب فى سوق القداحين والعمل فى السوق هكذا كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشترى كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشترى شيئا غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة حين بلغنا البصرة كنا من العرى والفاقة كأنا مجانين وكنا قد لبثنا ثلاثة

(۱۴۶)

مفاتيح البحث: نهر الفرات (۱)، مدينة البصرة (۴)

صفحه ۱۱۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۷

شهور لم نحلق شعر رأسنا فأردت أن أذهب إلى الحمام التمس الدفء فقد كان الجو باردا ولم يكن علينا ملابس كنت أنا وأخى كلانا نلبس فوطة بالية وعلى ظهرينا خرقة من الصوف متدلية من الرأس حتى قلت لنفسى من الذى يسمح لنا الآن بدخول الحمام فبعت السلتين اللتين كانت بهما كتبى ووضعت بعض دراهم من ثمنها فى ورقة لأعطيها للحمامى عسى أن يسمح لنا بوقت أطول فى الحمام لنزيل ما علينا من كدر فلما قدمت اليه هذه الدريهمات نظر إلينا شذرا وظن أننا مجانين وانتهرنا قائلا اذهبوا فالآن يخرج الناس من الحمام ولم يأذن لنا بالدخول فخرجنا فى خجل ومشينا مسرعين وكان بباب الحمام أطفال يلعبون فحسبونا مجانين فجروا فى أثرنا ورشقونا بالحجارة وصاحوا بنا فلجأنا إلى زاوية وقد تملكنا العجب من أمر الدنيا وكان الأعرابى يطلب منا الثلاثين دينارا مغربيا ولم نكن نعرف وسيلة للسداد وكان بالبصرة وزير ملك الأهواز واسمه أبو الفتح على بن أحمد وهو رجل أخلاق وفضل يجيد معرفة الشعر والأدب وكان كريما وقد جاء البصرة مع أبنائه وحاشيته وأقام بها ولم يكن لديه ما يشغله وكنت عرفت رجلا فارسيا فاضلا من أصدقاء الوزير والمترددين عليه كل وقت وكان هذا الفارسى فقيرا لا وسعة عنده لإعانتنا فقص على الوزير قصتنا فلما سمعها أرسل إلى رجلا ومعه حصان أن اركب واحضر عندى كما أنت فخجلت من سوء حالى وعريى ولم أر الذهاب مناسبا فكتبت رقعة معتذرا وقلت فيها إنى سأكون فى خدمته (بعد وصول ورقتى اليه) وكان قصدى من الكتابة شيئين أن يعرف فقرى وعلمى حين يطلع على كتابتى وأن يقدر أهليتى وذلك حتى لا أخجل من زيارته وقد أرسل إلى فى الحال ثلاثين دينارا لشراء كسوة فاشتريت حلتين جميلتين وفى اليوم

الثالث ذهبت لمجلس الوزير فرأيته رجلا كاملا أديبا فاضلا جميل الخلقة متواضعا دينا حلو الحديث وله أربعة أبناء أكبرهم شاب فصيح أديب عاقل اسمه الرئيس أبو عبد الله أحمد بن على بن أحمد وكان شاعرا

(۱۴۷)

مفاتيح البحث: يوم عرفة (۱)، أحمد بن على بن أحمد (۱)، أبو عبد الله (۱)، مدينة البصرة (۱)، على بن أحمد (۱)، الإستحمام، الحمام (۵)

صفحه ۱۱۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۸

وكاتبا فيه فتوة الشباب ورجاحة العقل ومظاهر التقوى وقد أضافنا الوزير عنده من أول شعبان إلى نصف رمضان ثم أمر بإعطاء الأعرابى الذى استأجرنا جمله الثلاثين دينارا التى له على فكفانى مؤونة هذا الدين اللهم تباركت وتعاليت فرج ضيق المدينين من عبيدك من هم القرض بحق الحق وأهله ولما أردنا السفر رحلنا عن طريق البحر بعد أن أفاض علينا بنعمه وأفضاله فبلغنا فارس فى كرامة وهدوء ببركة هذا الرجل الحر رضى الله عز وجل عن الرجال الأحرار وفى البصرة ثلاثة عشر مشهدا باسم أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقال لأحدها مشهد بنى مازن وذلك أن أمير المؤمنين عليا صلى الله عليه وسلم جاء إلى البصرة فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين (سبتمبر ۶۵۵) من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام وكانت عائشة رضى الله عنها قد أتت محاربة وقد تزوج أمير المؤمنين عليه السلام ليلى بنت مسعود النهشلى وكان هذا المشهد بيتها وقد أقام أمير المؤمنين اثنين وسبعين يوما ثم رجع إلى الكوفة وبجانب المسجد الجامع مشهد آخر يسمى مشهد باب الطيب ورأيت فى مسجد البصرة عمودا من الخشب طوله ثلاثون ذراعا وسمكه خمسة أشبار وأربعة أصابع وكان أحد طرفيه أسمك من الطرف الآخر قيل إنه من أخشاب بلاد الهند استولى عليه أمير المؤمنين على عليه السلام وأحضره للبصرة والأحد عشر مشهدا الأخرى كل منها بموضع وقد زرتها كلها بعد أن أيسرنا ارتدينا ملابسنا وذهبنا يوما إلى ذلك الحمام الذى لم يسمح لنا بدخوله من قبل فوقف الحمامى عند دخولنا من الباب وكذلك وقف كل من الحاضرين حتى دخلنا ثم جاء المدلك والقيم وقاما بخدمتنا فلما فرغنا ودخلنا غرفة الملابس وقف كل من بها ولم يجلسوا حتى لبسنا ثيابنا وخرجنا وفى أثناء ذلك كان الحمامى يقول لصاحب له هذان هما

(۱۴۸)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۳)، مدينة الكوفة (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، شهر شعبان المعظم (۱)، شهر ربيع الأول (۱)، مدينة البصرة (۳)، الهند (۱)، الشهادة (۴)، السجود (۲)، الزوج، الزواج (۱)، الصّلاة (۱)، الإستحمام، الحمام (۱)

صفحه ۱۱۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۴۹

الرجلان اللذان لم ندخلهما الحمام يوم كذا وكان يظن أننى لا أعرف لغته فقلت له بالعربية حقا ما تقول فنحن اللذان كنا نلبس خرقة من الصوف على ظهرنا فخجل الرجل واعتذر وكان بين هذين الحالين عشرون يوما وقد ذكرت هذا الفصل حتى يعرف الناس أنه لا ينبغى التذمر من أزمات الزمان واليأس من رحمة الخالق جل جلاله وعم نواله فإنه تعالى رحيم وصف المد والجزر بالبصرة ووصف أنهارها يحدث المد ببحر عمان عادة مرتين كل أربع وعشرين ساعة فيرتفع الماء بمقدار عشر أذرع وحين يبلغ الارتفاع أقصى مداه يبدأ الجزر بالتدريج فينخفض الماء عشرا أو اثنتى عشرة ذراعا ويعرف بلوغ ارتفاع الماء مقدار الأذرع العشر بظهوره على عمود أقيم

هناک أو علی حائط ولو کانت الأرض مستویة وغیر عالیة لعظم امتداد البحر إلیها ویسیر النهران دجلة والفرات بغایة البطء حتی یتعذر فی بعض الجهات معرفة اتجاه التیار فیهما وحین یبدأ المد بدفع البحر ماءهما مسافة أربعین فرسخا حتی یظن إنهما یرتدان إلی منبعیهما أما فی الأماکن الأخری التی تقع علی شاطئ البحر فإن امتداد المد إلیها یتوقف علی ارتفاعها وانخفاضها فحیثما استوت الأرض ازداد المد وحیثما ارتفعت قل ویقال إن المد والجزر متعلقان بالقمر فیبلغ المد أقصی مداه حین یکون القمر علی الأفقین یعنی أفقی المشرق والمغرب ومن ناحیة أخری حین یکون القمر فی اجتماع الشمس واستقبالها یزداد الماء أی ان المد یزید فی هذه الأوقات ویعظم ارتفاعه وحین یکون القمر فی التربیعات تأخذ المیاه فی النقصان یعنی لا یکون علوها کثیرا وقت المد ولا ترتفع ارتفاعها وقت الاجتماع والاستقبال وکذلک یکون جزرها فی هذه الحالة أقل هبوطا منه فی وقت الاجتماع والاستقبال وبهذه الدلائل یقولون إن المد والجزر متعلقان بالقمر والله تعالی أعلم

(۱۴۹)

مفاتیح البحث: نهر الفرات (۱)، الوقوف (۱)، الظنّ (۲)، الإستحمام، الحمام (۱)

صفحه ۱۱۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۰

والأبلة التی تقع علی النهر المسمی بها مدینة عامرة وقد رأیت قصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها وهی من الجمال بحیث لا یمکن حدها أو وصفها والمدینة الأصلیة تقع الجانب الشمالی للنهر وعلی جانبه الجنوبی یوجد من الشوارع والمساجد والأربطة والأسواق والأبنیة الکبیرة ما لا یوجد أحسن منه فی العالم وهذا الجانب الجنوبی یسمی شق عثمان والشط الکبیر الذی هو دجلة والفرات مجتمعین والمسمی شط العرب یقع شرقی الأبلة والمدینة فی الجنوب ویلتقی نهرا الأبلة ومعقل عند البصرة وقد ذکرت ذلک من قبل وصف أحیاء البصرة والبصرة عشرون ناحیة فی کل منها کثیر من القری والمزارع وهی حشان شربه بلاس عقر میسان المقیم نهر حرب شط العرب سعد سام الجعفریة المشان الصمد الجونة الجزیرة العظمی مروت الشریر جزیرة العرش الحمیدة الحویزة المنفردات ویقال انه کان من المتعذر فی وقت ما أن تمر سفینة من فم نهر الأبلة لعظم عمق مائه فأمرت امرأة من أثریاء البصرة بتجهیز أربعمائة مرکب وملأتها کلها بنوی التمر وأغرقتها هناک بعد أحکام سدادها فارتفع القاع وتیسر عبور السفن وفی الجملة فقد غادرنا البصرة فی منتصف شوال سنة ثلاث وأربعین وأربعمائة (۲۰ فبراير ۱۰۵۲) فرکبنا الزورق وسرنا فی نهر الأبلة ورأینا طوال أربعة فراسخ فی اجتیازه حدائق وجواسق ومناظر لا تنقطع علی شاطئیه ویتفرع من هذا النهر ترع کل منها فی سعة نهر فلما بلغنا شق عثمان وهی أمام الأبلة نزلنا وأقمنا بها وفی السابع عشر من شوال (۲۲ فبراير) رکبنا سفینة تسمی بوصی وکان الناس الکثیرون الواقفون علی الجانبین یصیحون قائلین سلمک الله یا بوصی وقد بلغنا عبادان فنزل

(۱۵۰)

مفاتیح البحث: نهر الفرات (۱)، شهر شوال المکرم (۲)، مدینة البصرة (۴)، الوسعة (۱)، الحرب (۱)، التمر (۱)، السفینة (۲)

صفحه ۱۲۰

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۱

فنزل الرکاب من السفینة وتقع عبادان علی شاطئ البحر وهی کالجزیرة إذ أن الشط ینقسم هناک إلی قسمین مما یجعل بلوغها متعذرا من أی ناحیة بغیر عبور الماء ویقع المحیط جنوب عبادان ولذا فإن الماء یبلغ سورها وقت المد کما أنه یبتعد عنها أقل من فرسخین أثناء الجزر ویشتری بعض المسافرین الحصیر من عبادان ویشتری البعض الآخر المأکولات منها وفی صباح الیوم التالی أجریت السفینة

فی البحر وسارت بنا شمالا وکان المد حلوا مستساغا لغایة عشرة فراسخ ذلک لأن الشط یسیر کاللسان فی وسط البحر ولما ارتفعت الشمس ظهر فی البحر شیء یشبه العصفور الدری وکان یکبر کلما اقتربنا منه فلما واجهناه من الیسار علی مسافة فرسخ خالفت الریاح فرموا المرساة ولفوا الشراع فسألت ما هذا قالوا إنه الخشاب وصف الخشاب (المنار) یتکون من أربعة أعمدة کبیرة من خشب الساج علی هیئة المنجانیق وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضیقة ویرتفع عن سطح البحر أربعین ذراعا وعلی قمته حجارة وقرمید مقامة علی عمد من خشب کأنها سقف ومن فوقها أربعة عقود یقف بها الحراس ویقول البعض إن الذی بنی الخشاب هذا تاجر کبیر ویقول آخرون بل بناه أحد الملوک وکان الغرض منه شیئین أحدهما أنه بنی فی جهة ضحلة یضیق البحر عندها فإذا بلغتها سفینة کبیرة ارتطمت بالأرض ففی اللیل یشعلون سراجا فی زجاجة بحیث لا تطفئه الریاح وذلک حتی یراه الملاحون من بعید فیحتاطون وینجون والثانی لیعرف الملاحون الاتجاه ولیروا القرصان إن وجدوا فیتقونهم بتحویل اتجاه السفینة

(۱۵۱)

مفاتیح البحث: السفینة (۳)

صفحه ۱۲۱

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۲

ولما اجتزنا الخشاب بحیث أصبح لا یری رأینا آخر مثله ولکن لیس علی سطحه قبة لأنهم لم یستطیعوا إکماله ومن هناک بلغنا مدینة مهروبان وهی مدینة کبیرة علی شاطئ البحر الشرقی بها سوق کبیر وجامع جمیل ولکن ماءها من المطر ولیس بها آبار أو قنوات من الماء العذب وقد اتخذ أهلها أحواضا ومصانع لیکون الماء متوفرا دائما وقد بنی بها ثلاثة أربطة کل منها کأنه حصن محکم ومرتفع وقد رأیت علی منبر مسجدها الجامع اسم یعقوب بن اللیث فسألت واحدا کیف کان ذلک فقال إن یعقوب بن اللیث الصفار استولی علی البلاد لغایة هذه المدینة ولم یکن لأمیر آخر من أمراء خراسان هذه القوة وفی الوقت الذی کنت بها کانت مهروبان ملکا لأبناء أبی کالیجار الذی کان ملک فارس ومأکولات هذه المدینة تحمل إلیها من المدن والولایات الأخری إذ لیس بها شیء سوی السمک وفیها تحصل المکوس فهی میناء وحین یسیر المسافر منها جنوبا علی شاطئ البحر یبلغ توه وکازرون وقد لبثت بمهروبان زمنا لأنه قیل إن الطرق لیست آمنة لما بین أبناء أبی کالیجار من الحروب فقد کان کل منهم علی رأس جیش وکان الملک مضطربا وسمعت أن بأرجان رجلا عظیما فاضلا هو الشیخ السدید محمد بن عبد

(۱۵۲)

مفاتیح البحث: محمد بن عبد (۱)، خراسان (۱)، السجود (۱)

صفحه ۱۲۲

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۳

الملک وکنت قد سئمت من کثرة ما أقمت بمروبان فکتبت له خطابا وأعلمته بحالی والتمست منه أن یرحلنی من هذه المدینة إلی بلد أمین فلما أرسلت الکتاب جاءنی فی الیوم الثالث ثلاثون راجلا مدججون بالسلاح وقالوا قد أرسلنا الشیخ لنکون فی خدمتک إلی أرجان وقد اصطحبونا آمنین إلیها أرجان مدینة کبیرة بها عشرون ألف رجل وفی الجانب الشرقی منها نهر ینحدر من الجبل الذی شقت عند جانبه الشمالی أربع ترع عظیمة تتخلل المدینة وقد أنفق فی إنشائها مال کثیر وتسیر هذه الترع إلی ما وراء أرجان وقد زرعت علی شواطئها الحدائق والبساتین وبها کثیر من النحل وأشجار النارنج والترنج والزیتون وبنیت أرجان بحیث یکون ما تحت الأرض من بیوتها مساویا لما فوقها ویتخلل الماء هذه المساکن الأرضیة والسراديب فی جمیع جهات المدینة حیث یستریح الناس فی

فصل الصيف والناس هناك على مذاهب شتى وإمام المعتزلة اسمه أبو سعيد البصرى وهو رجل فصيح يدعى العلم بالهندسة والحساب وقد تباحثت معه وسأل كل منا الآخر وأجابه كما سمعت منه فى علمى الكلام والحساب وغيرهما غادرت أرجان فى أول المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٢ مايو ١٠٥٢) وقد اتجهنا ناحية أصفهان عن طريق كوهستان فبلغنا فى الطريق جبلا به شق ضيق يقول العامة إن بهرام جور شقه بسيفه ويسمونه شمشير بريد ورأينا فى هذا المكان ماء متدفقا يتفجر من عين على يميننا وينزل من مكان عال ويقول العامة إن هذا الماء يجوم تفجره فى الصف أما فى الشتاء فيقف ويتجمد ثم بلغنا لوردغان وبينها وبين أرجان أربعون فرسخا ولوردغان هذه هى حدود فارس ومن هناك بلغنا خان لنجان ورأيت اسم السلطان طغرل بيك مكتوبا على بابها ومنها إلى أصفهان سبعة فراسخ ويعيش أهل خان

(١٥٣)

مفاتيح البحث: مدرسة المعتزلة (١)، مدينة إصفهان (٢)

صفحه ۱۲۳

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥۴

لنجان آمنين هادئين كل منهم مشتغل بعمله وشؤون بيته وفى الثامن من صفر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠ يونيو ١٠٥٢) قمنا من هناك فبلغنا مدينة أصفهان ومن البصرة إليها ثمانون ومائة فرسخ وهى مشيدة على أرض مستوية ماؤها عذب وهواؤها عليل وحيثما حفرت الأرض عشر أذرع خرج ماء عذب بارد وللمدينة سور مرتفع حصين به بوابات ومقاتلات وعلى السور شرفات وفيها أنهار جارية وأبنية جميلة مرتفعة وفى وسطها مسجد جمعة جميل جدا ويقال إن طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف وكلها عامرة من الداخل فلم أر بها خرابا قط وفيها أسواق كثيرة ورأيت فيها سوقا من أسواق الصرافين كان بها مائتا صراف ولكل سوق سور وبوابة محكمة وكذلك للأحياء والشوارع وأربطتها نظيفة وفى شارع اسمه كوطراز (شارع الطرازين) خمسون رباطا جميلا ـ فى كل منها تجار ومستأجرون كثيرون والقافلة التى صحبناها فى الطريق كانت تحمل ثلاثمائة وألف خروار من البضائع ولما دخلنا أصفهان لم يتحر عن دخولنا أحد إذ لا تضيق أماكن السكنى أو تتعذر الإقامة أو المؤن بها ولما استولى السلطان طغرل بيك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق رحمة الله عليه على هذه المدينة ولى عليها شابا نيسابوريا كان كاتبا مجيدا حسن الخط هادئا حسن اللقاء ولقبه الخواجة العميد كان صاحب فضل حلو الحديث كريما وكان السلطان قد أمر بأن لا يطالب الناس بشىء مدة ثلاث سنين فسار على ذلك وأعاد المهاجرين إلى أوطانهم وكان هذا الرجل من كتاب الشورى وكان بأصفهان قبل مجيئنا قحط عظيم ولكن حين بلوغنا إياها كان الشعير قد جمع وكان المن والنصف من خبز القمح يساوى درهما عدلا وكذلك كانت ثلاثة الأمنان من الشعير وقال الناس هناك إن أحدا منهم لم ير

(١٥۴)

مفاتيح البحث: مدينة إصفهان (٣)، مدينة البصرة (١)، السجود (١)

صفحه ۱۲۴

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٥

إنه بيع بها بدرهم أقل من ثمانية أمنان من الخبز ولم أر فى كل البلاد التى تتكلم الفارسية مدينة أجمل ولا أكثر سكانا وعمرانا من أصفهان وقيل إنه إذا خزن بها القمح أو الشعير أو غيرهما من الحبوب مدة عشرين سنة لالم يفسد وقال البعض إن هواءها كان أحسن قبل إنشاء السور وإنه تغير بعد إنشائه بحيث تفسد بعض الأشياء أما الريف فقد ظل هواؤه كما كان وقد قمت بأصفهان عشرين يوما

بسبب تأخر قيام القافلة وفى الثامن والعشرين من صفر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٣٠ يونيو ١٠٥٢) بلغنا قرية تسمى هيم آباد ومن هناك بلغنا قصبة نايين عن طريق الصحراء وجبل مسكيان ومن أصفهان إلى هناك ثلاثون فرسخا وقد سرنا من نايين مسافة ثلاثة وأربعين فرسخا حتى بلغنا قرية كرمة من ناحية بيابان التى بها عشر أو اثنتا عشرة وهى جهة جوها حار وبها نخيل وكانت تابعة قديما للقفص وحين بلغناها كان الأمير كليكى قد استولى عليها منهم ونصب عليها نائبا من قبله وجعل مقامه فى قرية ذات قلعة تسمى بيادة وقد ضبط هذا الحاكم الولاية وجعل طرقها آمنة وإذا قطع القفص الطريق يرسل إليهم الأمير كليكى جنده فيقبضون عليهم ويستردون منهم المال ويقتلونهم وقد أصبح الطريق آمنا واستراح الناس بفضل هذا الأمير العظيم اللهم تباركت وتعاليت احفظ وانصر وأعن السلاطين العادلين وارحم المتوفين منهم وقد بنيت فى هذا الطريق الصحراوى بين كل فرسخين فى المواضع غير الملحة قباب صغيرة وخزانات يتجمع فيها ماء المطر وقد شيدت القباب حتى لا يضل المسافرون الطريق ولكى يأووا إليها ساعات فى الحر والبرد وقد رأينا فى الطريق الرمل المتحرك وكل من يتحول عن العلامات التى وضعت فى الطريق للإرشاد فإنه لا يستطيع

(١٥٥)

مفاتيح البحث: مدينة إصفهان (٣)، الضلال (١)، البيع (١)

صفحه ۱۲۵

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٦

الخروج من وسط هذا الرمل ويهلك وبدا لنا طوال ستة فراسخ أرض ملحة متحركة يختفى فيها من ينحرف إليها عن الطريق المحدود ومن هناك ذهبنا عن طريق رباط زبيدة المسمى رباط المرامى وهو يحتوى على خمس آبار ولولا هذا الرباط والماء الذى به لما استطاع أحد اجتياز هذه الصحراء ثم دخلنا ناحية طبس فى قرية تسمى رستاباد وفى التاسع من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٩ يوليو ١٠٥٢) بلغنا طبس ويقال إن بينها وبين أصفهان عشرة ومائة فرسخ وطبس مدينة مزدحمة ولو أنها تشبه القرية ماؤها قليل وزراعتها أقل وبها النخل والبساتين وتقع نيسابور على مسيرة أربعين فرسخا منها شمالا وخبيص على مسيرة أربعين فرسخا جنوبا فى طريق الصحراء وناحية المشرق جبل صعب المرتقى وكان أميرها فى ذلك الوقت كيلكى بن محمد الذى استولى عليها بالسيف والناس هناك فى سلام وأمن عظيمين حتى أنهم لا يغلقون بيوتهم ليلا ويتركون البهائم فى الطريق مع أن المدينة غير مسورة ولا تجرؤ امرأة على الكلام مع شخص أجنبى عنها فإذا فعلت قتل الاثنان وكذلك لا سرقة ولا قتل بفضل حزم الأمير وعدله وقد رأيت الأمن والعدل فيما رأيت من بلاد العرب والعجم فى أربعة مواضع الأول بالدشت أيام لشكر خان والثانى فى الديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين والرابع بطبس أيام الأمير أبى الحسن كيلكى بن محمد فلم أسمع على كثرة ما سافرت بمثل ما فى هذه الجهات من الأمن ولم أره وقد استبقانا الأمير رضى الله عنه سبعة عشر يوما بطبس و أضافنا وأمر لنا بصلات وقت الرحيل معتذرا عن ضآلتها وأرسل معنا أحد فرسانه

(١٥٦)

مفاتيح البحث: مدينة إصفهان (١)، شهر ربيع الأول (١)، القتل (٢)

صفحه ۱۲۶

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٧

حتى زوزن التى تقع على مسيرة اثنين وسبعين فرسخا وبعد اثنى عشر فرسخا من قيامنا من طبس بلغنا قصبة تسمى الرقة بها مياه جارية وزرع وبساتين وأشجار وحصن ومسجد جمعة وقرى ومزارع كبيرة وفى التاسع من ربيع الآخر (٨ أغسطس) غادرنا الرقة وفى الثانى

عشر من هذا الشهر بلغنا تون وبينهما عشرون فرسخا وتون مدينة كبيرة ولكن معظمها كان خرابا حين رأيتها وهى على حافة واد به الماء الجارى والقنوات وفى جانبها الشرقى بساتين كثيرة ولها حصن محكم وقيل إنه كان بها أربعمائة مصنع للسجاد وفى المدينة كثير من شجر الفستق فى بساتين المنازل ويعتقد سكان بلخ وطخارستان أن الفستق لا ينبت ولا ينمو إلا على الجبال ولما رحلنا من تون حكى لى الرجل الذى بعثه معنا الأمير كيلكى فقال كنا ذاهبين ذات مرة من تون إلى كنايد فخرج علينا اللصوص وتغلبوا علينا فألقى بعضنا من الخوف بنفسه فى بئر تجرى تحت الأرض وكان لواحد من هؤلاء والد شفوق فجاء واستأجر رجلا لينزل إلى البئر ويخرج ولده منها واستعان الجماعة بكل ما لديهم من الحبال وأتى رجال كثيرون ونزل الرجل مسافة سبعمائة ذراع حتى بلغ القاع وربط الولد بالحبل وجروه ميتا وقد قال الرجل حين طلع من البئر إن بها ماء عظيما يتدفق جاريا تحت الأرض مسافة أربع فراسخ ويقال إن كيخسرو هو الذى أمر بحفرها وفى الثالث والعشرين من شوال (٢٣ أغسطس) بلغنا مدينة قاين وبينها وبين تون ثمانية عشر فرسخا تجتازها القافلة فى أربعة أيام وهى مسافة شاقة وقاين مدينة كبيرة حصينة حولها خندق وبها مسجد جمعة به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فى خراسان وهو غير متناسب مع حجم المسجد وعلى جميع بيوت المدينة قباب وزوزن على مسيرة ثمانية

(١٥٧)

مفاتيح البحث: شهر شوال المكرم (١)، شهر ربيع الثانى (١)، خراسان (١)، السجود (٣)، الخوف (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الجماعة (١)

صفحه ۱۲۷

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ١٥٨

عشر فرسخا من الجانب الشرقى الشمالى لقاين ومنها جنوبا إلى هراة ثلاثون فرسخا ورأيت بقاين رجلا اسمه أبو منصور محمد بن دوست ملم بكل علم من طب وفلك ومنطق فسألنى أى شىء خارج هذه الأفلاك والأنجم قلت يسمى شيئا ما يكون داخل الأفلاك أما ما وراءها فلا يجوز أن يسمى شيئا فقال ما وراء السماوات معنوى أم مادى قلت لا جدال أن العلم محدود وحده فلك الأفلاك والحد ما يقصل فلكا عما عداه فإذا علم هذا وجب أن يكون ما وراء الأفلاك مخالفا لما فى داخلها قال هذا المعنى الذى يثبته العقل هل له نهاية من هذه الناحية إن كانت له نهاية فأين وإن كان لا نهاية له فكيف يقبل اللالامتناهى الفناء وتكلمنا زمنا على هذا النحو فقال أنا كثير الحيرة من هذا فقلت ومن لا يحار فيه وعلى كل حال فقد لبثنا بقاين شهرا بسبب ثورة كانت فى زوزون أثارها عبيد النيسابورى ولتمرد رئيس زوزن وقد أرجعت من هناك الفارس الذى بعثه معنا الأمير كيلكى وخرجنا من قاين قاصدين سرخس فبلغناها فى الثانى من جمادى الآخرة (أول أكتوبر) وقدرت من البصرة إلى سرخس تسعين وثلاثمائة فرسخ وقد غادرنا سرخس عن طريق الرباط الجعفرى والرباط العمرى والرباط النعمتى وهى ثلاثة أربطة متقاربة على الطريق وفى الثانى عشر من جمادى الآخر بلغنا مدينة مرو الرود وخرجنا منها بعد يومين وتبعنا طريق آب كرم وفى التاسع عشر بلغنا فارياب بعد ان سرنا ستة وثلاثين فرسخا وكان أمير خراسان جعفرى بيك أبو سليمان داود ابن ميكائيل بن سلجوق فى شبورغان وكان يقصد الذهاب إلى دار ملكه مرو وقد اتبعنا طريق سنكلان بسبب الثورات ثم اتجهنا ناحية بلخ عن طريق سه دره فلما بلغنا رباطها سمعنا أن أخى أبا الفتح عبد الجليل كان فى حاشية وزير أمير خراسان المسمى أبا نصر وقد مضى على خروجنا من خراسان سبعة أعوام فلما بلغنا دستكرد رأينا أمتعة تنقل إلى شبورغان فسأل أخى الذى كان معى لمن هذه فقيل له

(١٥٨)

مفاتيح البحث: شهر جمادى الثانية (١)، مدينة البصرة (١)، خراسان (٣)، البعث، الإنبعاث (١)، الجواز (١)

صفحه ۱۲۸

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۵۹

إنها لهذا الوزير فسألهم هل تعرفون أبا الفتح عبد الجليل فقالوا إنه كان معنا ثم اقترب منا خادم وسألنا من أين أتيتم فقلنا من الحج قال إن لسيدى أبى الفتح عبد الجليل أخوين ذهبا للحج منذ سنوات وهو دائم الشوق إليهما وكلما سأل عنهما أحد لا يدله قال أخى إنا نحمل من ناصر كتابا فحين يصل سيدك نسلمه إياه وبعد قليل سارت القافلة وسرنا معها فقال هذا الخادم إن سيدى يصل الآن فإذا لم يجدكما يضيق صدره فإذا أعطيتمانى الكتاب لأسلمه له يسر به فقال له أخى أتريد خطاب ناصر أم ناصرا نفسه هذا هو ناصر ففرح الخادم ولم يعرف ماذا يفعل وسرنا نحن إلى بلخ عن طريق ميان روستا وقد جاء أخى الخواجة أبو الفتح عبد الجليل إلى دسنكرد عن طريق الصحراء وكان ذاهبا مع الوزير إلى أمير خراسان فلما سمع بأمرنا عاد من دستكرد وانتظرنا على رأس قنطرة جموكيان إلى أن وصلنا وكان هذا فى يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة (۲۶ أكتوبر ۱۰۵۲) وقد التقينا وفرحنا باللقاء وشكرنا الله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن فقدنا الأمل فى اللقاء وبعد أن تعرضنا للتهلكة مرات حتى يئسنا من الحياة وفى هذا التاريخ نفسه بلغنا بلخ فقلت هذه الأبيات الثلاثة فى هذا المقام * فإن يكن تعب الدنيا وعناءها طويلين فشرها وخيرها لا محالة منتهيان * إن الفلك يتحرك من أجلنا ليل نهار وكلما راح منا واحد تلاه آخر * إنا نروح ونغدو فى الحياة إلى أن تحين الروحة التى لا عودة منها * وتبلغ المسافة التى قطعناها من بلخ إلى مصر ومن مصر إلى مكة ومنها إلى فارس عن طريق البصرة ثم إلى بلخ عدا الأطراف التى زرناها فى الطريق ألفين ومائتين وعشرين فرسخا

(۱۵۹)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، مدينة البصرة (۱)، خراسان (۱)، الحج (۲)

صفحه ۱۲۹

سفرنامه – ناصر خسرو – الصفحة ۱۶۰

وقد وصفت بأمانة ما رأيت فى رحلتى وأما ما سمعته وكان عليه اعتراض فلا ينسبه القراء إلى ولا يؤاخذونى أو يلومونى عليه وإن وفقنى الله سبحانه وتعالى وسافرت إلى المشرق فسأضم وصف ما أشاهده هناك إلى هذه الرحلة إن شاء الله تعالى وحده العزيز والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين

(۱۶۰)

مفاتيح البحث: الصّلاة (۱)، العزّة (۱)

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و

بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹